الوصية الشرعية

خالد عوض

للتزود والاستعداد ليوم الميعاد

من بعد وصية يوصى بها
أو دين غير مضار

وصية من الله
والله عليم حليم

إعداد
منصور أنور محمود عشماوي
مكة المكرمة

دار الولاء الإسلامي

الوصية الشرعية

للتزود والإستعداد ليوم الميعاد

إعداد

منصور أنور محمود عشماوي

مكة المكرمة

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

دار الولاء الإسلامي للنشر والتوزيع

رقم الإيداع : ١٠٥٩٠ / ٩٦

الطبعة الأولى بمصر
١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

النـــاشـــر

دار الولاء الإسلامي للنشر والتوزيع

مديرية التحرير - مركز بـدر - ت : ٠٤٥/٦٢١٣٧٢

الوصية الشرعية

للتزود والإستعداد ليوم الميعاد

إعداد

منصور أنور محمود عشماوي

مكة المكرمة

الطبعة الأولى بمصر

١٤١٦ - ١٩٩٦

الناشر

دار الولاء الإسلامي للنشر والتوزيع

مديرية التحرير - مركز بدر - ت: ٠٤٥/٦٢١٢٧٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى كل من علمنى حرفاً فى أمور الدين ... إلى زوجتى وعيالى ومن سيرثنى من بعدى .. إلى كل المسلمين .. إلى من يحترم أوامر الدين .. إلى من يخاف من رب العالمين .. إلى من يوقن أنه سيلقى بالموت خالقه ورازقه .. إلى من يحرص على التزود من دنياه لأخراه بطاعة مولاه .. إلى من يخاف من عذاب الجحيم .. إلى من يطمع أن يدخل جنات النعيم .. إلى من يعلمون أنهم فقراء إلى الله – مهما ارتفعت مناصبهم – وأن الله هو الغنى الحميد .. إلى من لم ينشغلوا بدنياهم ولم يهملوا أخراهم .. إلى من تواضعوا لله ولخلقه من المسلمين .. إلى من يعطف على الفقراء والمساكين .. إلى من يتعاونون مع عباد الله أجمعين .. إلى من يتذكر الموت فى كل وقت وحين .. إلى من يسأل الله الرحمة والمغفرة لمن سبقهم من المؤمنين .. إلى من يحبون لقاء رب العالمين .. إلى من يتزودون بالصالحات لهذا اللقاء .. إلى من كان له ﴿ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .. إلى من ﴿ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ ، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .. إلى من يقولون ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ .. إلى من يقولون ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ .. إلى من يقول ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .. إلى من يخلصون بأعمالهم لله رب العالمين .

أهديكم هذه الوصية الشرعية المستقاه من منهل خير البرية عليه الصلاة والسلام،

لكي تكون دائمًا بين أيديكم للتذكير ، والخوف من الله الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، وحتى لا تغرنكم الحياة الدنيا بزينتها وشهواتها وملهياتها فتبعدكم عن الصراط المستقيم ، وحتى يجعلنا الله وإياكم من المتقين ونفوز بالفوز العظيم وندخل جنات النعيم .. آمين .

يَا خَادِمَ الجِسْمِ كَمْ تَشْقَى لِخِدْمَتِهِ   أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ !

أَقْبِلْ عَلَى الرُّوحِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا   فَأَنْتَ بِالرُّوحِ لاَ بِالجِسْمِ إِنْسَانُ

يَانَائِمَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوَّلِهِ   إِنَّ الحَوَادِثَ قَدْ يَأْتِينَ أَسْحَارَا

نَامَتِ المُلُوكُ وَأَغْلَقُوا أَبْوَابَهُمْ   وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ بَابُ الحَيِّ الَّذِى لَمْ يَنَمِ

المقدمـــة

الحمد للَّه رب العالمين القائل فى محكم التنزيل :

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥]

وأشهد أن لا إله إلا الله القائل مبصرًا ومذكراً ومنذراً للخلق أجمعين بقوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المرسلين وخاتم النبيين وصفوته من خلقه أجمعين والمنزل عليه من رب العالمين :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]

وصلى اللَّه عليه وعلي آله الأكرمين وصحابته الغر الميامين ومن سار على نهجهم واقتدى بسنته إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ..

أما بعد :

فلابد لكل البشر ؛ كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، عزيزهم وذليلهم ، قويهم وضعيفهم ، معافهم ومريضهم ، ذكرهم وأنثاهم ، أن يوقنوا جميعًا بأن الموت لابد وأن يطرق عليهم أبوابهم إن عاجلاً أو آجلاً بإنذار وبدون سابق إنذار ، حتى ولو شغلتهم دنياهم وأنستهم هذا المصير الذى يجب أن لا يتغافل عنه الجميع ، حيث إنهم لم يُخلقوا فى دنياهم هذه إلا من أجل الإعداد والتزود منها بما أمر اللَّه للدار الآخرة وهى الدار الباقية التى لا موت بعدها ولا فناء عندما يقال : خلودٌ يا أهل الجنة فى الجنة ، وخلودٌ يا أهل النار فى النار .. حينئذٍ يكون الندم حيث لا ينفع الندم وتكون الويلات

والحسرات ، وقد قال الله تعالى :

﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (٢٩) ﴾ [الفرقان : ٢٦ - ٢٩]

أما البعض الآخر فيقول حينما يأتيه الموت ، وكما قال الله تعالى :

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) ﴾ [المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠]

هيهات هيهات .. وأنَّى يستجاب لهم وقد أعرضوا في دنياهم عن الذكر والإرشاد والخضوع والإذعان للواحد الديَّان .. ألم يقرأوا قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧) ﴾ [طه : ١٢٤ - ١٢٧]

جَمَعُوا فَلَمْ يَأْكُلُوا .. وَزَرَعُوا فَلَمْ يَحْصُدُوا .. وَبَنَوْا وَلَمْ يَسْكُنُوا .. وَأَمَّلُوا الآمَالَ وَلَمْ يُدْرِكُوا .. بَل قَطَعُوا الثِّيَابَ وَلَمْ يَلْبَسُوا ..

وَلَمْ يَخْـرُجُـوا إلاَّ بِقُطْنٍ وَخِـرْقَـةٍ ... وَمَـا عَـمَّـرُوا مِنْ مَنْزِلٍ ظَلَّ خَـاوِيَا
وَهُمْ فِي بُطُونِ الأَرْضِ صَرْعَى جُثَثَاهُمْ ... صَـدِيقٌ وَخِلٌّ كَـانَ قَـبْلُ وَافِـيَـا
وَأَنْتَ غَـدًا أَوْ بَعْـدَهُ فِي جِـوَارِهِمْ ... وَحِـيـدًا فَـرِيدًا فِي المَقَـابِرِ ثَاوِيَا
جَـفَـاكَ الَّذِي كُنْتَ تَرْجُـو وِدَادَهُ ... وَلَمْ تَرَ إِنْسَـانًا بِعَـهْـدِكَ آتِـيَـا
فَكُنْ مُسْـتَـعِـدًا لِلْمَـمَـاتِ فَـإِنَّهُ ... قَـرِيبٌ فَـدَعْ عَنْكَ المُنَى وَالأَمَانِيَـا

حقًا إنها العدالة الإلهية – وكما تَدين تُدان – فالدنيا مزرعة والحصاد هناك إن خيراً فجنة وإن شراً فنار .. ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ .. وقال تعالى :

﴿وأن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ (٤١)﴾ [النجم: ٣٩ – ٤١]

وحيث أننا عن الدنيا مرتحلون – ولا شك في هذا – فكان لزامًا على كل عاقل فيها يخاف اللّه ويرجو رحمته أن يتحرى الصواب في أمور دينه ودنياه حتى يفوز بالنعيم في أخراه ، لذلك – أحبتي في اللّه – وددت أن أترك لمن يخلفني في هذه الحياه وخاصة من أعول ، أترك لهم هذه الوصية الشرعية التي تقص عليهم في أبواب مبسَّطه ما قبل الموت ، وما عند الموت ، وما في القبر ، وما يجب على كل مسلم أن يعمله من أجل المصير الأخير – الدار الآخرة – التي من أجلها خلقه اللّه بأن يكون عالمًا بكل ما أمره به الدين وما نهاه عنه ومطبقاً له في كل شؤون حياته ومتزوداً ومستعداً بالتقوى والأعمال الصالحات وأن يعمل في دنياه من أجل أخراه حتى تسجل له الحسنات وتمحى عنه السيئات .

تَزَوَّدْ مِنَ التَّقْوَى فَإِنَّكَ لا تَدْرِي ... إذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إلَى الفَجْرِ؟
فَكَمْ مِنْ فَتَى أَمْسَى وَأَصْبَحَ ضَاحِكًا ... وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ لا يَدْرِي
وَكَمْ مِنْ صِغَارٍ يُرْتَجَى طُولَ عُمْرِهِمْ ... وَقَدْ أُدْخِلَتْ أَجْسَامُهُمْ ظُلْمَةَ القَبْرِ
وَكَمْ مِنْ عَرُوسٍ زَيَّنُوهَا لِزَوْجِهَا ... وَقَدْ قُبِضَتْ أَرْوَاحُهُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ
وَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ

ومن رحمة اللّه بعباده أنه يكتب لهم الحسنات على كل شئ فعلوه وابتغوا به وجهه سبحانه .. من طعام وشراب ولباس ونوم وسعى لطلب الرزق وجهاد فى الخير ومساعدة وبذل وعطاء وطلب علم - مما يتصل بالدنيا أو الدين - وتربية عيالهم والمحافظة على نسائهم وبناتهم ، وكل ما يتعلق بأمور العبادات والمعاملات إذا توفر فى ذلك الإخلاص للّه مع عدم الإسراف والمباهاة والخيلاء وترك المن والأذى ، فهذا هو الرصيد الحقيقى من الحسنات الذى يُدخر لكم عند اللّه ليوم الميعاد والحساب والجزاء ، فيكون سببًا فى دخول الجنات بعد مشيئة اللّه ورضاه ، والبعد عن النيران والعذاب .. وبهذا تكون قد تحققت لكم السعادة فى الدنيا والآخرة .. قال تعالى :

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٣]

وقال أيضا :

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠)﴾ [المزمل: ٢٠]

لَا تَرْكَنَنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ... فَالْمَوْتُ لَا شَكَّ يُفْنِينَا وَيُفْنِيهَا

وَاعْمَلْ لِدَارٍ غَداً رِضْوَانُ خَازِنُهَا ... وَالْجَارُ أَحْمَدُ وَالرَّحْمَنُ نَاشِيهَا

قُصُورُهَا ذَهَبٌ وَالْمِسْكُ طِينَتُهَا ... وَالزَّعْفَرَانُ حَشِيشٌ نَابِتٌ فِيهَا

التمهيـــد

بسم الله .. والحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

سأتحدث في هذه العُجَالة – إن شاء الله – مستعيناً به سبحانه وتعالى وسائله عز وجل أن يلهمنا جميعًا الرشد والصواب وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .. قال تعالى :

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤]

أيها الإخوة .. ماهي الدنيا ؟ ولِمَ خَلقنا فيها ؟ وما هو مصيرنا ؟ !

وذلك في كلمات مختصرات يعتبر بها أولوا الألباب.. وكما قال الله تعالى:

﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]

يا سُبْحَانَ اللَّهِ ..

عَجِبتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالمَوْتِ ثُمَّ هُوَ يَفْرَحُ ..
وَعَجِبتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ ثُمَّ هُوَ يَضْحَكُ ..
وَعَجِبتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالحِسَابِ ثُمَّ لاَ يَعْمَلُ ..
وَعَجِبتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالقَدَرِ ثُمَّ هُوَ يَنْصَبُ ..
وَعَجِبتُ لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا ثُمَّ اطْمَأَنَّ إِلَيْهَا ..

(واعلموا) علم اليقين أن الله تعالى يقول :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥]

ومن رحمة الله بعباده أنه قد أخبرهم بأنهم لن يخلدوا فى دنياهم هذه التى أوجدهم فيها وأن كل من له نفس لابد لها وأن تذوق الموت مفارقة دنياها وتاركة وراءها كل ما تمتعت به وأنها ستصطحب معها الأعمال خيرها وشرها .. حلوها ومرها .. صالحها وطالحها .. ثم توفى حسابها وأجرها بعد الممات ويوم الحساب، وأن الفائز فى هذا اليوم العصيب هو مَنْ سيزحزح عن النار ويدخل الجنة وبهذا يكون قد فاز لأنه أعد فى دنياه لهذا اليوم عدته وتزود بتقوى الله وأذعن وانصاع لأوامره سبحانه وتعالى وعمل بسنة حبيبه ومصطفاه ﷺ الذى لم يترك فينا شيئاً يقربنا إلى الله إلا وقد أمرنا به ، ولم يترك فينا شيئاً يبعدنا عن الله إلا وقد نهانا عنه ، وأن الدنيا – يا أحبتى فى الله – بكل ما فيها من متاع زائلة وأنها قد حُفَّتْ بالزينة والغرور ، وأن النعيم الذى لا يزول إنما هو دار القرار والاستقرار التى لابد لكل حي أن يرجع إليها ، ولقد كان خطاب الله سبحانه وتعالى ولا يزال للعقلاء والمتقين ولمن خاف رب العالمين نصب أعينهم فى كل وقت وكل حين .. قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) ﴾ [لقمان : ٣٣]

النَّفسُ تَبْكِي عَلَى الدُّنيا وقَدْ عَلِمَتْ أنّ السَّلامَةَ فِيهَا تَرْكُ مَا فِيهَا
لاَ دَارَ لِلمَرْءِ بَعْدَ المَوتِ يَسْكُنُهَا إلاَّ الّتي كَانَ قَبْلَ المَوتِ يَبْنِيهَا
فَإنْ بَنَاهَا بِخَيرٍ طَابَ مَسْكَنُهُ وَإنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيهَا

فماذا بعد هذا النداء الإلهى الكريم ؟ ! الذى ليس فيه لَبْسٌ ولا غموض كما فى قوله تعالى :

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٢٨]

نحن جميعًا نشاهد الأموات ونشيعهم كل حين ! ! فماذا بعد هذا ؟ ! قال تعالى :

﴿ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) ﴾ [التوبة : ٣٨]

يَا مَنْ بِدُنْيَاهُ اشْتَغَلْ وَغَرَّهُ طُولُ الأَمَلْ
المَوتُ يَأتِي فَجْأةً وَالقَبْرُ صُنْدُوقُ العَمَلْ

وإن لنا فى المعلم الأكبر والرسول الأعظم ﷺ القدوة والأسوة الحسنة حينما أراد أن يبصّر الذين يلهثون وراء الدنيا والمال والغنى حتى ولو كان ذلك على حساب دينهم وكرامتهم وخسران آخرتهم حينما قال فى الحديث الصحيح الذى روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: « لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرتِ العَرَضِ .

وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ » (١).

وهم الذين جعلوا أمور الدنيا ومتاعها فى قلوبهم فشغلتهم عن ذكر الله ومخافته سبحانه وتعالى وأنستهم يوم اللقاء والجزاء .. وها هو رسولنا ﷺ يعمل على راحة المؤمنين ، ويزرع فى قلوبهم القناعة والرضا لما روى عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصارى ، عن أبيه رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ: مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»(٢).

النَّفْسُ تَجْزَعُ أَنْ تَكُونَ فَقِيرَةً ... وَالفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غِنًى يُطْغِيهَا
وَغِنَى النُّفُوسِ هُوَ الكَفَافُ فَإِنْ أَبَتْ ... فَجَمِيعُ مَا فِي الأَرْضِ لا يَكْفِيهَا

وكما يخبرهم فى الحديث الذى روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله ﷺ: الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ » (٣).

وقد ضرب لنا المثل الأعلى فى كلامه البليغ بالعمل والتطبيق فى الحديث الذى روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : نام رسول الله ﷺ على حصيرٍ فقام وقد أثّر فى جَنْبه . فقلنا : يا رسول الله لو اتَّخذنا لك وِطَاءً .

فقال : « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ؟ مَا أَنَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ آسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(٤). (حديث حسن صحيح)

(١) سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٣٩٩ ، رقم ٣٣٣٧ .
(٢) سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٣٩٩ ، رقم ٣٣٤٠ .
(٣) سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٣٩٥ ، رقم ٣٣٢١ .
(٤) رياض الصالحين ، ص ٣٦٧ ، رقم ٣٠ .

وبهذا أيها الأخ الكريم وأيتها الأخت الكريمة يتضح لكم جلياً حقيقة الدنيا بأنها عرض زائل سيحاسب عليه المرء يوم القيامة . وأنها قد فتنت في زماننا هذا كثيراً من الناس إلا من رحم ربي .. فليسارع كل منا باليقظة والحذر من مكرها وخداعها وزينتها وشهواتها حتى ننجو من عذاب لا طاقة لنا به ، وحتى نحظى برضا الله عز وجل بالنعيم المقيم في جنات النعيم التي ليس هناك ما يضاهيها ، ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر – في الدنيا بأسرها وعند أغنى أغنيائها – جعلني الله وإياكم من أهلها ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ومن الذين قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .. لهذا أيها الإخوة والأخوات لابد من العمل وقبل فوات الأوان بقوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ [البقرة: ٢٨١]

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةَ كُلِّ حَيٍّ

وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

وأكثروا ذكر هاذم اللذات (الموت) فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ » [1]. رواه الترمذي وقال حديث حسن

(١) رياض الصالحين ، ص ٣١٢ ، رقم ٦ .

تَذَكَّرْ فِي مَشِيبِكَ وَالمآبِ ... وَدَفْنِكَ بَعْدَ عِزِّكَ فِي التُّرَابِ
إِذَا أُدْخِلْتَ أَنْتَ فِيهِ ... تُقِيمُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الحِسَابِ
وَفِي أَوْصَالِ جِسْمِكَ حِينَ تَبْقَى ... مُقَطَّعَةً مُمَزَّقَةَ الإِهَابِ
فَلَوْلَا القَبْرُ صَارَ عَلَيْكَ سِتْرًا ... لَأَنْتَنَتِ الأَبَاطِحُ وَالرَّوَابِي
خُلِقْتَ مِنَ التُّرَابِ فَصِرْتَ حَيًّا ... وَعُلِّمْتَ الفَصِيحَ مِنَ الخِطَابِ
وَعُدْتَ إِلَى التُّرَابِ فَصِرْتَ فِيهِ ... كَأَنَّكَ مَا خُلِقْتَ مِنَ التُّرَابِ
طَلِّقْ هَذِهِ الدُّنْيَا ثَلَاثًا ... وَبَادِرْ قَبْلَ مَوْتِكَ بِالمَتَابِ
يُنَادِي فِي صَبِيحَةِ كُلِّ يَوْمٍ ... لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ

وكن يا أخى الكريم فى دنياك هذه كما كان رسولك عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام رضى الله عنهم أجمعين فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » . وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخُذْ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك »(1). رواه البخارى

أى أنك تسعى فى الدنيا لإعمارها طاعة لله وابتغاء لمرضاته ، وتوقن أيضا أنك ضيف فيها ولابد للضيف من الرحيل بمداهمة الموت له فجأة أو بعد حين .. فيجب عليك أن تنتظر قطار الموت فى الصباح والمساء والذى يجوب الآفاق وقد يأتيك فجأة فلابد لك من الاستعداد لهذا السفر الذى لا رجعة بعده أبداً بالتزود بتقوى الله كما فى قوله سبحانه وتعالى :

(١) رياض الصالحين ، ص ٣١٠ ، رقم ١ .

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]

لذلك انظر إلى كلام البشير النذير عليه أفضل الصلاة والتسليم فى الحديث الذى روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ »(١). رواه البخارى

بل إن الموت أقرب لأحدنا من حبل الوريد !! فماذا تنتظر ؟! والرسول ﷺ يرشدنا إلى المبادرة بأعمال الخير قبل فوات الأوان وذلك فى الحديث المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعاً . هَلْ تَنْتَظِرُون إِلاَّ فَقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً ، أَوْ هرماً مُفْنِدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ، أَوْ الدَّجَالَ فَشَرٌّ غَائِبٍ يِنْتَظِرُ، أو السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟!»(٢). رواه الترمذى وقال حديث حسن

وما أدراكم ما الساعة وأماراتها ؟ ! .. إنها حقًا وأمر لما فيها من الفتن والأهوال وغضب الجبار ، والتى يجب على كل مسلم ومسلمة صغيراً وكبيراً الاطلاع فى كتب العلم التى تقص وبالتفصيل عن أمارات الساعة صغيرها وكبيرها والتى قد ظهرت أماراتها الصغرى ونحن الآن بانتظار الكبرى ومراحلها وأهوالها وفتنها لتعلموا أيها المسلمون والمسلمات كل ما أمرنا به وحذرنا منه ونبهنا إليه رسولنا المعلم العظيم ﷺ.

---

(١) رياض الصالحين ، ص ٧٦ ، رقم ١١ .

(٢) رياض الصالحين ، ص ٣١١ ، رقم ٥ .

الوصية الشرعية

طالما أن الأمر قد اتضح لنا جلياً هكذا من خلال هذه السطور فهناك أمر هام وإهماله خطير .. ألا وهو كتابة الوصية الشرعية بما لنا وما علينا من أموال وعقود ووعود وعهود مع توقيع الشهود وأن نُطلع الورثة عليها ، وحتى لا نتركهم بغير وصية فيتخطبون .. فلهم ولا يعرفون .. وعليهم ولا يعرفون .. وحتى لا نأثم ونعذب في قبورنا بسبب إهمالنا ، فقد صح في كتابة الوصية ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا حَقُّ آمْرِىءٍ مُسْلِمٍ لَهُ شيءٌ يُوصِي فِيهِ ، يبيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ » (١). متفق عليه

أما عن الديون التى تخلفها وراءك بعد موتك فهى تحجبك عن دخول الجنة لما صح فى الحديث الشريف الذى روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «نَفْسُ المُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ » (٢). رواه الترمذى وقال حديث حسن

ويجب أن تكون عادلاً فى الوصية وكما أمر الله، وأن لا يحملك الغضب على حرمان البعض أو تقلل من نصيبهم فى الميراث أو توصى بوصيتك كلها لغير ورثتك لما روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى فقلت إنّى قد بلغ بى من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنةٌ فأتصدَّق بثلثى مالى؟ قال: «لا» فقلت: بالشطر؟ فقال: «لا» ثم قال: الثُّلُثُ كَبِيرٌ أَوْ كَثِيرٌ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْ وَرَثَتَكَ أَغْنِياءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ

---

(١) رياض الصالحين ، ص ٣١٥ ، رقم ٢ .

(٢) رياض الصالحين ، ص ٤٤٤ ، رقم ١ .

لناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك»(١).

ويجب عليك أيها الأخ الكريم أن ترجع إلى الشرع الحكيم وكتاب رب العالمين في أحكام المواريث ومنها ما جاء في قوله تعالى :

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢) ﴾ [النساء: ١١، ١٢]

---

(١) جواهر البخاري، ص ١٤٩، رقم ١٦٤ .

وأيضا كما فى قوله تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠]

لتتبين لك العدالة الإلهية التى رسمها لك الإله الحكيم ولتلتزم بموجبها وتعمل بمقتضاها وحذار أن تحيد عن هذا الطريق المستقيم أو أن تتباطأ فى كتابة وصيتك من الآن وقبل أن يفاجئك الموت فيبهرك . قال تعالى :

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) ﴾ [يس: ٤٩، ٥٠]

ولقد خصصت لك أخى الكريم وأختى الكريمة وأهلى وأحبتى ومن سيرثنى من بعدى فى هذه الوصية التى يجب أن تقتنوها وتعلموا على نشرها بينكم وبين المسلمين خصّصت صفحات تدونون فيها ما لكم وما عليكم باستمرار إن شاء الله مع الاحتفاظ بالمكاتبات الرسمية والموقعة من الشهود .. وبهذا تكونون قد تركتم لمن معكم ولمن بعدكم وصية شرعية شاملة بعض أحكام الدين والتى يجب أن تعلموا بها فى حياتكم وبها أيضًا سائر المعاملات المادية والتى إن أهملتموها ضيعتم أنفسكم ومن حولكم وخسرتم أخراكم .. وإن هذه الوصية لهى سنة حسنة ومؤكدة أهملها كثير من الناس وباقتنائكم لها وطباعتها ونشرها تكونون قد تركتم لأنفسكم الصدقات الجاريات بانتفاع الناس بهذه القيم والنصائح والإرشادات ، وأيضًا تنهال عليكم الدعوات الصالحات وتكونون قد تبرأتم بوصيتكم هذه من كل من يخالف ما جاء بها وخاصة عند مفارقتكم للحياة بحسن الخاتمة إن شاء الله .

ولا تؤخر أخي الكريم وأختي الكريمة العمل بما فى هذه الوصيبة وتدوينها وتسديد الديون وإخراج الصدقات حتى يداهمك الموت لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : أتى رسول الله ﷺ رجل فقال : يا رسول الله ، أى الصدقة أعظم ؟ فقال : أنْ تَصَدَّقَ وأنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ ، تَخْشَى الفَقْرَ وَتأمَلُ الغِنَى ، ولا تُمْهِلْ حَتَّى إذَا بَلَغَتْ الحُلْقُوم قُلْتَ : لِفُلاَنٍ كَذَا ، ولِفُلاَنٍ كَذَا ، ألا وقَدْ كَانَ لِفُلانٍ » (١).

وحتى لا ترتبك وأنت فى سكرات الموت وتنشغل بغير لقاء الله والرجاء فيه والنطق بالشهادة والتى إن نطقها يختم لك بالإيمان .. قال تعالى :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٧]

واقرأ ما روى من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه وأرضاه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ » (٢).

وحتى تكون محبًا ومرحبًا للقاء الله عز وجل فقد روت لنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّه ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لَقَاءَ اللَّه ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » ، فقلت : يا نبى الله ، أكراهية الموت ؟ فكلنا يكره الموت ، قال : « لَيْسَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ورِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا بُشر بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ ، كَرِهَ لِقَاءُ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» (٣).

(١) مختصر . صحيح مسلم ، ص ١٤٧ ، رقم ٥٤٨ .
(٢) سنن أبى داوود ، الجزء الثالث ، ص ١٩٠ ، رقم ٣١١٦ .
(٣) مختصر صحيح مسلم ، ص ١٢٤ ، رقم ٤٥٤ .

وإياك أخي المسلم وأختي المسلمة ويا أهلي ويا أحبابي أن تتمنوا الموت لضر نزل بكم لما روى عن أنس رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ. فإِنْ كَانَ لاَبُدَّ مُتَمَنِّيًا المَوْتَ ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ ! أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي » (١).

وإياك واليأس من رحمة الله فعلينا أن نأخذ في أسباب الشفاء بالوقاية والعلاج وأن نلتزم بنصائح الطبيب حتى لا نعرض أنفسنا للهلاك .. ويسن لنا الرقية الشرعية بالأدعية المأثورة عن النبي ﷺ وهي مدونة بكتب العلم وكثيرة ، وبعد نزول المعوذتين أخذ رسول الله ﷺ بهما في الرُّقى حتى في مرض موته لما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحدٌ من أهله نفث عليه بالمعوِّذات ، فلما مرض مرضه الذى مات فيه جعلتُ أنفُثُ عليه وأمْسَحُهُ بيد نفسه ، لأنها كانت أعظم بركة من يدى(٢).

إِنَّ الطَّبِيبَ لَهُ عِلْمٌ يَدُلُّ بِهِ ... إِنْ كَانَ لِلْمَرْءِ فِي الأَيَّامِ تَأْخِيرُ
حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَتْ أَيَّامُ رِحْلَتِهِ ... حَارَ الطَّبِيبُ وَخَانَتْهُ العَقَاقِيرُ

ويجب علينا أن نتحلى بالصبر والرضا في هذه الساعات العصيبة وأن نقتدى بما روى لنا من حديث أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ دخل على شاب ، وهو في الموت . فقال : « كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ » قال : أرجو الله يا رسول الله ! وأخاف ذنوبي . فقال رسول الله ﷺ : « لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ ، فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ ، إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو ، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ » (٣).

---

(١) سنن ابن ماجة ، الجزء الثاني ، ص ٤٢١ ، رقم ٣٤٤٠ .
(٢) مختصر صحيح مسلم ، ص ٣٨١ ، رقم ١٤٤٦ .
(٣) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الثاني ، ص ٤٢٠ ، رقم ٣٤٣٦ .

وأن هذه الساعة تتطلب من الجميع الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن والصلاة والسلام على رسول ﷺ، حينئذ تجد نفسك مشغلاً بكل هذا مع الجميع فتموت على حسن الختام .. وليعلم الجميع أن هذا قضاء الله وقدره واختباره للأحياء وبلاء ليعلم الله الصبرين . قال تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١]

واعلم أخي الكريم وأختي الكريمة وأهلي وأحبائي أن بلاء الله لعباده يكون في الخير والشر كما في قوله تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]

وقد ذكر الله لنا أنواعًا من البلاء في قوله تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]

لذلك وجب علينا التسليم بقضاء الله لنا وفينا في كل هذه الأمور المتقلبة والتى لا تستقر على حال . وكما قال تعالى :

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[التوبة: ٥١]

وكما في قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦]

الوصية الشخصية

ومن الآن وقبل أن يفاجئك المرض أو الموت تقول لورثتك : أرجو أن تعلموا جيداً قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]

لذلك أرجو أن يتحلى الجميع عندما يداهمنى المرض أو الموت بالصبر والرضا بقضاء الله وأن تأخذوا فى أسباب الشفاء بأن لا تبخلوا علىَّ بالدواء والعلاج وأن لا تتأذوا مما أنا فيه فقد كنت عما قريب مثلكم . ومن قام بزيارتى يجب أن يخفف الزيارة عملاً بالسنة – حيث إن للمريض أحوالاً وله من الله الأجر والثواب – لما جاء فى الحديث الذى روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: « مَنْ عَادَ مَرِيضًا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً » (١).

ويجب أن يدعو لى ويذكرنى بالله وبِنُطْق الشهادة ، لما روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه»(٢).

وأن لا يقال فى حضرتى هذه إلا خيراً لما روى عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا حَضَرْتُمُ المَرِيضَ أو المَيِّتَ ، فَقُولُوا خَيْرًا . فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ »(٣) .

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٢٤٤ ، رقم ١١٨٤ .
(٢) صحيح سنن ابن ماحة ، الجزء الأول ، ص ٢٤٤ ، رقم ١١٨٦ .
(٣) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٢٤٤ ، رقم ١١٧٨ .

واعلموا أن من صبر واحتسب على ما أنا فيه فله الأجر العظيم لما روى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ابْنَ آدَمَ ! إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى ، لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ »(١) .

وهكذا يكون أمر المؤمن كله خير فى السراء والضراء لما روى عن صُهيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا الْمُؤْمِنُ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » (٢).

فإذا صعدت روحى بالفعل والتى يجب عليكم التأكد من ذلك جيداً ويعلم ذلك أهل الطب والمجربون .

اللَّيْلُ مَهْمَا طَالَ لابُدَّ مِنْ طُلُوعِ الفَجْرِ وَالعُمْرُ مَهْمَا طَالَ لابُدَّ مِنْ دُخُولِ القَبْرِ

فبعد ذلك ابدأوا بتغميض عينى وتوجيهى إلى القبلة واستروني بغطاء ، ثم ابدأوا بإبلاغ قرابتى وجيرانى وأصحابى وزملائى بأسرع وسيلة – كالهاتف مثلاً – وإياكم والنعى لما روى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ «كان ينْهَى عن النَّعي»(٣) . رواه أحمد والترمذى وحسنه

وابدأوا بسداد دَيْنى قبل دفنى أو تستسمحوا أصحاب الدَّيْن حتى لا أحبس عن جنة لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٢٦٦ ، رقم ١٢٩٨.
(٢) مختصر صحيح مسلم ، ص ٥٥٦ ، رقم ٢٠٩٢ .
(٣) بلوغ المرام ، ص ١٣٢ ، رقم ٥٢١ .

حَتَّى يُقضَى عَنْهُ » (١). رواه الترمذى وقال حديث حسن

ولاتدخل عليَّ امرأة حائض أو رجل جنب إن أمكن ذلك لحضور الملائكة وأن يلتف حولى الصالحون .. ولا تتركونى لناقصات العقل والدين من النسوة قرابتى وغير قرابتى اللواتى يصدر منهن مايغضب الله من أمور نهى عنها النبى ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، أَوْ شَقَّ الجُيُوبَ ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ » . وفى لفظ : « وَشَقَّ وَدَعَا » (٢).

وما جاء فى الحديث المروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة » (٣).

ويجب أن يذكرنى الجميع بالخير وأن يسامحونى لما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ: « اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ ، وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ» (٤).

يَا ابْنَ آدَمَ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ بَاكِيًا ... وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِكَ يَضْحَكُونَ سُرُوراً
فَاحْرِصْ عَلَى عَمَلٍ تَكُونُ إِذَا بَكَوا ... فِي يَوْمِ مَوْتِكَ ضَاحِكاً مَسْرُوراً

ولا يجوز أن يقبلنى من لا يجوز له تقبيلى فى حياتى .. ولا يجوز لأى امرأة أو فتاة قريبة أو غريبة أن تحدَّ عليَّ أكثر من ثلاثة أيام ما لم يمنعها زوجها أو ولى أمرها ، فإن

(١) رياض الصالحين ، ص ٤٤٤ ، رقم ١ .
(٢) مختصر صحيح مسلم ، ص ١٢٦ ، رقم ٤٦٤ .
(٣) سنن أبى داوود ، الجزء الثالث ، ص ١٩٣ ، رقم ٣١٢٨ .
(٤) سنن أبى داوود ، الجزء الرابع ، ص ٢٧٥ ، رقم ٤٩٠٠ .

منعها فلا تحدَّ عليَّ مطلقًا .. ويجب على زوجتى أن تحدَّ عليَّ أربعة أشهر وعشر أيام كما فى قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٤]

ولما روى عن أم عطية رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ: «لَا تُحِدُّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاثٍ ، إِلَّا امْرَأَةٌ تُحِدُّ عَلَى زَوْجِهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا . وَلَا تَلْبَسَ ثَوْبًا مَصْبُوغًا، إِلَّا ثَوْبَ عَصْبٍ، وَلَا تَكْتَحِلْ وَلَا تَطَيَّبُ إِلَّا عِنْدَ أَدْنَى طُهْرِهَا، بِنُبْذَةٍ مِنْ قُسْطٍ أَوْ أَظْفَارٍ»(١) .

وذلك بأن تترك التزين بالحليّ والمجوهرات ووضع الكحل والطيب والحناء ولبس الحرير وما شابه ذلك .. ولا يجوز أن تخطب فى هذه الفترة .. كما يكره لبس الأسود من الثياب للجميع إن قصد بذلك الحداد .

ويجب على زوجتى وبناتى وقريباتى وكل المسلمات أن يتخلقن بالأخلاق الحميدة وعلى رأسها الحياء لأنه من أسس الإيمان لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا . وَإِنَّ خُلُقَ الإِسْلَامِ الحَيَاءُ»(٢).

ومن الحياء أن لا يظهرن زينتهن ولا يتبرجن بأى حال من الأحوال أمام الشباب والرجال عامة والأقرباء خاصة طالما هم لا يحلون لهن ، وذلك صيانة لأنفسهن

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٣٥٦ ، رقم ١٦٩٧ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٤٠٦ ، رقم ٣٣٧١ .

وأعراضهن وامتثالاً لقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩]

وأن يأتمرن بكل ما أمرهن به الله سبحانه وتعالى حتى فى أصواتهن ومشيتهن فقد أمر الله نساء النبى ﷺ بهذا خاصة ونساء المسلمين والمؤمنين عامة كما فى قوله تعالى :

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) ﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣]

وقد أمرهن الله سبحانه وتعالى بآداب لو تمسكن بها لكانت محبة الله لهن ولامتلأت قلوبهن بالإيمان . قال تعالى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]

ولقد ضرب الله لكُنَّ أيتها المسلمات خير مثل فى الحياء ويا من تزاحمن الرجال والشباب فى كل مكان دون حياء ولا خوف من الله فى هذا المشهد القرآنى البليغ حينما جاءت بنت شعيب تدعو من اصطنعه الله على عينه وهو موسى عليه الصلاة والسلام بالذهاب إلى أبيها ليجزيه ويشكره لما صنع نحو بناته .. قال الله تعالى :

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

[القصص : ٢٥]

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لا أُبَدِّدُهُ ... لا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ العِرْضِ فِي المَالِ

وانظروا إلى عاقبة المخالفين لكلام رب العالمين ولهَدْى سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم فعن ابن عباس وعمران بن حصين رضى الله عنهم عن النبى ﷺ قال : «اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ ، واطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»(١). متفق عليه من رواية ابن عباس

وإياكن والتشبه بالرجال ، وكذلك أنتم أيها الشباب والرجال إياكم التشبه بالنساء لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لَعَن المرأة تتشبّه بالرجال، والرجل يتشبّه بالنساء » (٢).

وإياكن والخلوة بالرجال وانظروا جميعاً إلى الإخبارات والتوجيهات الشريفة والنفيسة فى الحديث الذى أخرجه ابن ماجة وغيره : « أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِى ، ثُمَّ الَّذِينَ

---

(١) رياض الصالحين ، ص ٢٦٨ ، رقم ٣٢ .
(٢) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٣٢١ ، رقم ١٥٤٤ .

يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يَحْلِفُ أَحَدُهُمْ عَلَى الْيَمِينِ قَبْلَ أَنْ يُسْتَحْلَفَ عَلَيْهَا ، وَيَشْهَدُ عَلَى الشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدَ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بَحْبُوبَةِ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ ، وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ ، وَلاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ ، ثَالِثُهُمَا الشَّيْطَانُ ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ تَسُرُّهُ حَسَنَتُهُ ، وَتَسُوؤُهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ »[1] .

وإياكن ووضع الروائح والطيب لغير أزواجكن وإن شئتم فاقرأوا هذا الحديث الشريف الذى ينذر بخطورة ذلك الأمر الذى انتشر بين كثير من نساء وفتيات المسلمين الآن – ولا حول ولا قوة إلا بالله – : حدثنا محمد بن بسار ، حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ثابت بن عمارة الحنفى عن غُنيم بن قيس عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ ، وَالْمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ بِالْمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا يعنى زانية[2] .

وسارعوا إلى تصفح كتاب ربكم عز وجل الذى أنزل إليكم بشيراً ونذيراً فقد حوت سور النساء والنور والأحزاب كثيراً من الأوامر والنواهى والآداب العامة والخاصة للجنسين الذكر والأنثى وللنساء والفتيات بصفة خاصة .

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى ... تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا
وَخَيْرُ لِبَاسِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ ... وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا

فسارعوا يا من سيسألنى الله عنكم عند لقائه بالالتزام بهذه الأوامر والنواهى

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الأول ، ص ٧١٧ ، رقم ٤٣٠ .
(٢) الجامع الصحيح (سنن الترمذى ، الجزء الخامس ، ص ٩٨ ، رقم ٢٧٨٦ .

والآداب والتى حاد عنها فى زماننا هذا الكثير من الفتيات والنساء والشباب والرجال والذين ينتسبون وينتسبن مع الأسف إلى الإسلام وقد جهلوا آدابه وتعاليمه وحتى لا تكونوا ممن وصفهم رسول الله ﷺ فى الحديث الذى روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول ﷺ: « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ ، مُمِيلاتٌ ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا »(١).

فحذار حذار أن تؤهلوا أنفسكم وبأعمالكم لدخول النار .. ويجب أن يكون كل منكم لبنة صالحة فى صرح الإسلام فتبنوا أسركم وأوطانكم على التقوى والإيمان .. ولتكونوا القدوة والأسوة الحسنة لمن حولكم من الأنام .

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

و أيتها النساء والفتيات لا تثرن غرائز الشباب والرجال بفتنتكن وإبراز جمالكن بزينتكن ورائحتكن ومشيتكن وكلامكن وخضوعكن واختلاطكن بين أوساط الشباب والرجال فتجنب كل هذا هو من شروط كل من رضيت بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً .. وهى من المؤهلات لدخول الجنات من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ومن فعلت منكن خلاف ذلك وهى تنتسب إلى الإسلام بالوراثة وشهادة الميلاد فقد عرضت نفسها ووليها لدخول النار حتى ولو أدوا كل أركان الإسلام وهى خالية من تلك المحاسن والآداب والصفات الكريمة التى أمر بها الإسلام وقد قال الله تعالى:

(١) مختصر صحيح مسلم ص ٣٦٨ ، رقم ١٣٨٨ .

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥]

لذلك التزموا جميعاً أمر ربكم القائل فى محكم التنزيل :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

فأنتم إن شاء الله من المتقين لو التزمتم بما شرع الدين وأديتم حقوق رب العالمين واتبعتم سنة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام . « فَالتَقْوَى هِي السِّلاحُ الأَقْوَى ».

وإن أول ما يجب أن تفعلوه هو التفقه فى أمور الدين والتى ستكون بمثابة المصباح الذى ينير لكم الطريق ولقد روى عن معاوية رضى الله عنه أنه قال : قال رسول ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ »(١) . متفق عليه

وأيضًا إن طلب العلم فريضة على كل المسلمين لما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ »(٢) .

وقد قال الله تعالى فى محكم التنزيل :

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩]

---

(١) بلوغ المرام ، ص ٣٧٧ ، رقم ١٤٢١ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٤٤ ، رقم ١٨٣ .

وبهذا تعبدون الله على علم وتسيرون فى دنياكم على بصيرة ونور، وتتجنبون الوقوع فى المحرمات والشبهات والتى وقع فيها زماننا هذا كثير من الناس – ولا حول ولا قوة إلا بالله – مع المحافظة على أركان الإسلام التى تبنى عليها سائر العبادات والمعاملات، فمن الناس من يتهاون فى أداء فريضة الحج وهو قادر عليها مادياً وصحياً، ومنهم من يمنع الزكاة وقد امتلك نصابها ، ومنهم من يتهاون فى الصيام وهو قادر عليه ، وكثير منهم من يفرط فى أداء الصلاة بتركها أو عدم تأديتها فى أوقاتها ومع الجماعة وفى بيوت الله وبكامل خضوعها وخشوعها وهى ميسَّرة للسليم والمريض ، ومنهم من لا يأمر بها أهله وزوجه وعياله ولا يعاقبهم على تركها ، ولو علم الجميع خطورة هذا كله لحافظوا عليها ، والذى أوصيكم بالمحافظة عليه وخاصة الصلاة كما جاء فى الأحاديث وكذلك سائر الأركان ، حتى إن رسولنا الرحيم ﷺ كان يذكرنا ويأمرنا بالمحافظة على الصلاة بل لقد شدد فى ذلك حينما حضرته سكرات الموت فقد روى عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول فى مرضه الذى توفى فيه : « الصَّلاةَ ، ومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه(١) .

وكان يحب الصلاة حباً جماً حيث إنها شرعت فى السماء ليلة الإسراء والمعراج فكان شرفها كبير وعظيم..وكان إذا فزعه أمرٌ همَّ إلى الصلاة .. وكان يقول: «أرحنا بها يا بلال»..وكان يقول : «وجعلت قرة عينى فى الصلاة» .. فعن عبد الله أنه قال : حدثنى أبى، حدثنا أبو عبيدة عن سلام أبى المنذر عن ثابت عن أنس رضى الله عنهم أن النبى ﷺ قال: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءَ ، وَالطِّيبَ، وَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ»(٢).

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٢٧١ ، رقم ١٣١٧ .
(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، الجزء الثالث ، ص ١٢٨ .

ولقد وضح ﷺ خطورة تركـهـا فعن بريدة رضى الـله عنه عن النبى ﷺ قال : «العَهْدُ الَّذِى بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمُ الصَّلاةُ، فَمَنْ تَرَكَها فَقَدْ كَفَرَ»(١). رواه الترمذى وقال حديث حسن

وكذلـك ما روى عن جـابر رضى الله عنه قال : سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ»(٢) .

ولهذا فقـد أكد لنا القرآن الكريم على إقامة الصـلاة والمحافظة عليها والخشوع فـيها ومعـاقبـة من يتهاون بهـا وفيـها ومن يتركـها حـتى أن الله سبـحانه وتعالى لم يُعْـفِ منها المجاهدين فى سبيله – وفى معارك القـتال – !! فكيف بنا ونحن ننعم بحياة السلم والرغد والاستقرار ؟ ! .. قال تعالى :

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣) ﴾ [النساء: ١٠٢، ١٠٣]

انظروا أيهـا الإخوة والأخـوات إلى خاتمة الآيات الكـريمة فهى غنيـة عن البيـان .. وبهـذا يتضح لنا جليـاً ودون لبس أو غـموض أن تارك الصـلاة كافـر .. فهـو كافـر بالله

---

(١) رياض الصالحين ، ص ٤٩٠ رقم ٦ .

(٢) مختصر صحيح مسلم ، ص ٦٢ ، رقم ٢٠٤ .

وأوامره. وكافر بنعم الله التي لا يؤدي شكرها بتأدية الصلاة امتثالاً لأوامر الله ورسوله.. وإن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، لما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْئًا قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلُ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ؟ ثُمَّ تَكُونُ سَائِرُ أَعْمَالِهِ عَلَى هَذَا»(١). رواه الترمذي وقال حديث حسن

ولقد طُرِدَ إبليس من رحمة الله لعدم استجابته لأوامره سبحانه حينما أمره الله بالسجود لآدم – وهى سجدة واحدة – فما بالنا وقد أُمِرْنَا من الله عز وجل وفى آيات كثيرة بإقامة الصلاة والخشوع فيها والمحافظة عليها والوعيد بتركها .. ومن تركها فهو كافر بالله ... متكبر على خالقه ورازقه سبحانه وتعالى .

قال تعالى :

﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) ﴾ [عبس: ١٧ - ٢٢]

وليعلم الجميع أن من ترك الصلاة وأهملها لابد له وأن يتبع الشهوات حيث إن تأدية الصلاة بخشوعها والإخلاص فيها تجعل المؤمن دائمًا يراقب الله فى سائر أعماله وهو أنه سبحانه وتعالى مطلع عليه يسجل عليه حركاته وسكناته .. ومن تركها فلا رادع له ولا خوف ومآله وكما قال سبحانه وتعالى :

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) ﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠]

(١) رياض الصالحين، ص ٤٩٠، رقم ٨ .

المَعْرِفَةُ رَأْسُ مَالِي .. والعَقْلُ أَصْلُ دِينِي .. وَالحُبُّ أَسَاسِي .. وَالشَّوْقُ مَرْكَبِي .. وَذِكْرُ اللَّهِ أَنِيسِي .. وَالثِّقَةُ كَنْزِي .. وَالحُزْنُ رَفِيقِي .. وَالعِلْمُ سِلاَحِي .. وَالصَّبْرُ رِدَائِي .. وَاليَقِينُ قُوَّتِي .. وَالصِّدْقُ شَفِيعِي .. وَالطَّاعَةُ حَسْبِي .. وَالجِهَادُ خُلُقِي .. وقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ ..

والكبرياء أيها الإنسان المسكين والعظمة والألوهية لا تكون إلا لواحد ألا وهو الله سبحانه وتعالى فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول ﷺ «يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ إِزَارِي . مَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا، أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ » (١).

فأنت أيها المسلم المسكين كيف تحارب ربك وتعصاه ؟ ! قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧) ﴾ [فاطر: ١٥ - ١٧]

وإياكم والظلم والذى قد حرمه الله على نفسه فإن الظلم ظلمات يوم القيامة لما روى عن جابر رضى الله عنه أنه قال : قال رسول ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ »(٢) .أخرجه مسلم

لاَ تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِراً ... فَالظُّلْمُ تَرْجِعُ عُقْبَاهُ إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنُكَ يَا ظَالِمُ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمِ

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٤٠٥ ، رقم ٣٣٦٥ .
(٢) بلوغ المرام ص ٣٦٩ ، رقم ١٣٨٤ .

وإن عواقب الظلم وأمثاله وخيمة وخطيرة فى الدنيا ويوم القيامة وهى تذهب بكل رصيد الإنسان من الحسنات لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطِي هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[1].

وحتى لا يغتر كل واحد منكم بما يؤدى من عبادات وقد تغافل وأساء إلى خلق الله فى المعاملات والذين سترد إليهم حقوقهم كاملة دون نقصان فى الآخرة أمام العدالة الإلهية وبالحسنات والسيئات وتكون من أصحاب النار من أجل نقصان حسنة واحدة لم ولن تجد وقتها من يقرضك أو يمنحك إياها حتى ممن كان أقرب الناس إليك فى دنياك ألم تقرأوا قوله تعالى ؟!:

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]

وإياكم ودعوة المظلوم فإنها لا ترد عند الله ولا يغفل عنها .. قال تعالى :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]

عَشْ رَضِيًّا وَاهْجُرْ دَوَاعِي الأَلَمْ ... وَاعْدِلْ مَعَ الظَّالِمِ مَهْمَا ظَلَمْ
نِهَايَةُ الدُّنْيَا فَنَاءٌ فَعِشْ فِيهَا ... كَرِيمًا واعْتَبِرْهَا عَدَمْ

(١) مختصر صحيح مسلم ، ص ٤٨٤ ، رقم ١٨٣٦ .

وهناك ثلاث دعوات مستجابات وعلى رأسهن دعوة المظلوم لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ . لاَ شَكَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ لِوَلَدِهِ»(١).

وحتى يكون كل واحد منكم قريباً إلى الله قريباً إلى الناس قريباً إلى الجنة فلا يتعامل مع خلق الله بالظن والتجسس والغيبة فهذا من أبواب ظلم الناس والتجنى عليهم والتى أمرنا الله باجتنابها حيث قال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢]

ولقد جاء فى الحديث الشريف فيما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ »(٢) . متفق عليه

أما عن الغيبة والتى هى فاكهة الناس فى مجالسهم فلقد ذمها الإسلام ونبه عنها لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺقال : «أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم. قال: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»(٣). أخرجه مسلم

وإن كثيراً من الناس وممن ينتسبون إلى الإسلام وربما يؤدون فرائضه ليتكلمون

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٣٣١ ، رقم ٣١١٥ .
(٢) بلوغ المرام ، ص ٣٦٩ ، رقم ١٣٨٨ .
(٣) بلوغ المرام ، ص ٣٧١ ، رقم ١٣٩٥ .

بالكلمة ولا يلقون لها بالاً ويتجاهلون جزاءها وعقابها عند الله إلا من رحم ربي ، فانتبهوا إلى هذا الأمر الخطير يا ورثتي ويا أحبابي ويا أيها المسلمون جميعاً لما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبيَّنُ مَا فِيهَا ، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ»(١).

لهذا فقد خاطب الله المؤمنين في كتابه العزيز ناصحًا ومرشداً ومتوعداً بقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١]

فالتزموا بإرشادات الله لكم واحترموها واعملوا بها لقوله تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾ [الأنفال : ٤٦]

ولا تكونوا أيها الأحباب ممن وبخهم الله في كتابه العزيز بقوله تعالى :

إذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْـــرِفَ مَكَانَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ .. فَـــاعْـــرِفْ مَكَانَةَ اللَّهِ فِي نَفْـــسِكَ

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤]

(١) مختصر صحيح مسلم ، ص ٥٥٦ ، رقم ٢٠٩١ .

ولا تتفاضلوا مع بعضكم بأمور الدنيا وحطامها .. فالتقوى هى السلاح الأقوى وهى المعيار الحقيقى عند الله لقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣]

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ ... وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْراً ... وَعِنْدَ اللَّهِ لِلأَتْقَى مَزِيدُ
وَإِدْرَاكُ الَّذِي يَأْتِي قَرِيبٌ ... وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْضِي بَعِيدُ

لأن الناس سواسية كأسنان المشط ويجوعون فيأكلون ويعطشون فيشربون ثم بعد ذلك يفرّغون وإذا هجم عليهم النعاس ينامون وإذا جاءهم الموت يلبون ولا يعصون ثم يرجون منها بدون المال والأزواج والبنين .. فعلام التفاضل والتكبر أيها الضعفاء المساكين؟!

لذلك اعملوا جميعاً بالنصائح النفسية التى جاءت فى كتاب ربكم و فى سنة نبيكم عليه الصلاة و السلام و لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَاهُنَا — ويشير إلى صدره، ثلاث مرات — بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(١). أخرجه مسلم

(١) بلوغ المرام ، ص ٣٧١ ، رقم ١٣٩٦ .

الدُّنْيَا سَاعَةٌ فَاجْعَلْهَا طَاعَةً وَالنَّفْسُ طَمَّاعَةٌ فَأَلْزِمْهَا القَنَاعَةَ

لذلك فالمسلم أخو المسلم مهما كان بينهم من فوارق الطبقات والمناصب والأرزاق لما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ ، وَلاَ يُسْلِمُهُ ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أخِيهِ ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً ، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

لاَ تَمْنَعَنَّ يَدَ المَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ مَا دُمْتَ مُقْتَدِراً فَالسَّعْدُ تَارَاتُ
قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ مَكَارِمُهُمْ وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَمْوَاتُ

ولا غنى للناس عن الناس فى أمور حياتهم كلها ، فكل منهم مسخر للآخر بحسب حاجته وحرفته ووظيفته وإن للمسلم على المسلم حقوقاً أيها المسلمون مهما علت مناصبكم ومن باب إسلامكم وإيمانكم يجب أن تحترموها وتؤدوها لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ : إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهُ فَشَمِّتْهُ ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ» (٢). رواه مسلم .

ومن حسن إسلام المرء أحبتى الكرام تركه ما لا يعنيه فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ»(٣). رواه الترمذى وقال حسن .

---

(١) مختصر صحيح مسلم ، ص ٤٨٣ ، رقم ١٨٣٠ .
(٢) بلوغ المرام ، ص ٣٥٨ ، رقم ١٣٤٠ .
(٣) بلوغ المرام ، ص ٣٦٧ ، رقم ١٣٧٧ .

ولقد وضع لنا رسول ﷺ ميزان العدالة الاجتماعية بين الناس فى التعامل مع بعضهم البعض لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ»(١).

أى أن الإسلام يكره أن يضر المسلم أخاه المسلم ، بل أن يضر المسلم نفسه وصحته ومن يعول .

إذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الأَذَى وَحَظُّكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنُ
لِسَانَكَ لاَ تَذْكُرْ بِهِ عَوْرَةَ امْرِىءٍ فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ
وَعَيْنُكَ إِنْ أَبْدَتْ إِلَيْكَ مَعَايِبًا فَصُنْهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ
وَعَاشِرْ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِحْ مَنِ اعْتَدَى فَارِقْ وَلَكِنْ بِالَّتِى هِيَ أَحْسَنُ

وإن من أكبر الكبائر أيها الأحباب لهو الشرك بالله والإضرار بالناس وخاصة (الجار) والذى قد اعتنى به الإسلام كثيراً لما روى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول ﷺ قال : « مَازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»(٢).

وإن الجار على ثلاثة أصناف : فجار لك وهو على غير الملة (فله حق الجوار).. وجار لك وهو من المسلمين وله حقان (حق الجوار وحق الإسلام) .. وجار لك من أهلك وأرحامك وهو مسلم فله ثلاثة حقوق (حق الجوار وحق الرحم وحق الإسلام) .. وهناك من الحقوق الكثير .. لذا وجب عليكم أن تؤدوا لكل ذى حق حقه وإن هذا لمن الإيمان وها هى بعض الحقوق فى الحديث روى أبي شُرَيح الخزاعى رضى الله أن النبى

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٣٩ ، ١٨٩٦ .
(٢) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٢٩٦ ، رقم ٢٩٦٢ .

ﷺقال : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّه وَاليَوْمِ الآخِرِ ، فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ . وَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَه. وَمَنْ كَنَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ»(١).

ولقد أشار أيضا الحديث بجماله وكماله أن إكرام الضيف من الإيمان حيث أن البخيل بعيد عن الناس بعيد عن الجنة بعيد عن الله .. فالكرم الكرم أيها الكرماء .. أما الخصلة الأخيرة من هذا السلسبيل فهى أن يقول المؤمن خيراً أو ليسكت حيث إن كل كلمة تخرج من فِيهِ مسجلة عليه وسيُسأل عنها .. قال الله تعالى :

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٧، ١٨]

وإن المتهاونين فى هذا الأمر سيفاجؤون يوم القيامة أن الله قد سطَّر لهم الصغائر والكبائر التى اقترفوها فى دنياهم ليحاسبهم عليها جزاءً وفاقاً .. قال تعالى :

﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٨، ٤٩]

لذلك مدح الله المؤمنين فى القرآن الكريم حينما قال :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣]

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٢٩٦ ، رقم ٢٩٦١ .

وفى قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥]

حيث إنهم قد اطلعوا على كتاب ربهم الذى قص عليهم مايحدث فى دنياهم وما سيحدث فى أُخراهم فراقبوا الله عز وجل فى سائر أحوالهم لعلمهم بالحساب والجزاء .. قال تعالى :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]

فإياكم والجاهلين والغافلين والفسقة والعاصين واعلموا بحديث سيد المرسلين عليه الصلاة وأبهى التسليم الذى رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِى»(١) رواه أبو داود والترمذى بإسناد لا بأس به .

إِنَّ أَخَاكَ الحَقُّ مَنْ كَانَ مَعَكْ ... وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّعَكْ ... شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ

لأن هذا الأخ المؤمن سيكون المرآة العاكسة لسلوكياتكم وأفعالكم التى من خلال سترون عيوبكم وأخطاءكم وطاعتكم ومعصيتكم وإسلامكم وإيمانكم فهو دائما ما يذكِّركم بربكم ولقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «المُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ المُؤْمِنِ»(٢) أخرجه أبو داود بإسناد حسن

(١) رياض الصالحين ، ص ٢١٠ ، رقم ٧ .

(٢) بلوغ المرام ، ص ٣٧٩ ، رقم ١٤٣٤ .

وإياكم والنفاق فهو الميكروب المعربد فى شخصية الإنسان الذى لا مبدأ له ولا كيان .. ورسولنا ﷺ الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه وهو الذى بُعثَ ليتمم مكارم الأخلاق والذى كان خلقه القرآن ولقد وصفه الله فى قوله تعالى :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

إنه ليشرح لنا فى هذا الحديث الشريف صفات المنافقين فلقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ .(١) متفق عليه .

إِذَا المَرءُ لاَ يَلْقَاكَ إِلاَّ تَكَلُّفَا ... فَدَعْهُ وَلاَ تُكْثِرْ عَلَيْهِ التَّأَسُّفَا
فَفِي النَّاسِ إِبْدَالٌ وَفِي التَّرْكِ رَاحَةٌ ... وَفِي القَلْبِ صَبْرٌ للحَبِيبِ وَلَوْ جَفَا
فَمَا كُلُّ مَنْ تَهْوَاهُ يَهْوَاكَ قَلْبُهُ ... وَمَا كُلُّ مَنْ صَافَيْتَهُ لَكَ قَدْ صَفَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ صَفْوُ الوِدَادِ طَبِيعَةً ... فَلاَ خَيْرَ فِي وُدٍّ يَجِيءُ تَكَلُّفَا
وَلاَ خَيْرَ فِي خِلٍّ يَخُونُ خَلِيلَهُ ... وَيَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ المَوَدَّةِ بِالجَفَا
وَيُنْكِرُ عَيْشًا قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... وَيُظْهِرُ سِرًّا كَانَ بِالأَمْسِ فِي خَفَا
سَلاَمٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا ... صَدِيقٌ وَفِيٌّ يَصْدُقُ الوَعْدَ مُنْصِفَا

وكفاكم ماحكاه الله عنهم فى سورة النساء .. قال تعالى :

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (١٤٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) بلوغ المرام ، ص ٣٦٩ ، رقم ١٣٨٦ .

لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥)﴾ [النساء: ١٤٢ - ١٤٥]

نعوذ بالله من النفاق وسيِّيء الأخلاق ونسأله تعالى أن يجعلنا من المسلمين المؤمنين المحسنين إنه سميع مجيب.

إِذَا قَلَّ مَالِي فَمَا خِلٌّ يُصَاحِبُنِي ... وَفِي الزِّيَادَةِ كُلُّ النَّاسِ خِلَّانِي
وَكَمْ عَدُوٍّ لِأَجْلِ المَالِ صَادَقَنِي ... وَكَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِأَجْلِ المَالِ عَادَانِي
رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ مَالُوا إِلَى مَنْ عِنْدَهُ مَالُ ... وَمَنْ لا عِنْدَهُ مَالٌ فَعَنْهُ النَّاسُ قَدْ مَالُوا
رَأَيْتُ النَّسَ قَدْ ذَهَبُوا إِلَى مَنْ عِنْدَهُ ذَهَبُ ... وَمَنْ لا عِنْدَهُ ذَهَبٌ فَعَنْهُ النَّاسُ قَدْ ذَهَبُوا
رَأَيْتُ النَّاسَ مُنْفَضَّةٌ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ فِضَّةٌ ... وَمَنْ لا عِنْدَهُ فِضَّةٌ فَعَنْهُ النَّاسُ مُنْفَضَّةٌ

وأوصيكم بأن تكونوا إخوانا متحابين وعلى الخير متعاونين وعن الشر متباعدين وللشحناء تاركين ولصلة الأرحام غير قاطعين .. فهى من القربات إلى الله ومن وصلها وصله الله ومن قطعها أو سعى فى قطعها قطعه الله ، وقد حثنا ورغبنا فى الحفاظ عليها نبينا ﷺ فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(١) أخرجه البخارى .

وإن سنام البر والصلة والمعروف والإحسان لهو للوالدين أحياءً وأمواتاً ولقد قرن الله سبحانه وتعالى الإحسان إليهما بعبادته سبحانه حيث قال :

(١) بلوغ المرام ، ص ٣٦٢ ، رقم ١٣٥٦ .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]

ويتجلى ذلك بأروع أمثلة البيان في قوله تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤]

حقا إلى المرجع والمصير يا من ستحسن إلى والديك لتنال الدرجات العُلى والأجر والثواب الأوفى من ربٍّ جوادٍ كريم .. وإنّ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الخصوص .

مَرَرْتُ عَلَى المُرُوءَةِ وَهِي تَبْكِي ... فَقُلْتُ عَلامَ تَنْتَحِبُ امْتَاةُ ؟
فَقَالَتْ كَيْفَ لاَ أَبْكِي ... وَأَهْلِي جَمِيعاً دُونَ خَلْقِ اللَّهِ مَاتُوا ؟!

وإن ما نلمسه في تربية عيالنا من أول ما تحمل الأم جنينها إلى أن تضعه ثم السهر عليه والالتفاف حوله من الوالدين بالرعاية والتربية والتعليم حتى يصير شاباً مدركاً .. لكان كافياً لرد الإحسان والجميل والمعروف إليهما . قال تعالى :

﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]

والويل ثم الويل ثم الويل لمن أدرك أبويه أو أحدهما ولم يقم على برهما ومحبتهما والعطف والإحسان إليهما وعدم تفضيل سواهما عليهما من زوجة ومال وعيال ..

ويجب أن يُكثر الدعاء لهما أحياءً وأمواتاً .. وبهذا كله فلم ولن يوفيهما حقهما حيث إن حقهما كثير وكثير وعظيم .

يَـــــارَبُّ

بِكَ أَسْتَجِيرُ .. وَمَنْ يُجِيرُ سِوَاكَ — أَرْحَمْ ضَعِيفًا .. يَحْتَمِي بِحِمَاكَ

يَا رَبُّ قَدْ أَذْنَبْتُ .. فَاغْفِرْ ذِلَّتِي — أَنْتَ الْمُجِيبُ .. لِكُلِّ مَنْ نَادَاكَ

لذلك كله فليسارع كل منكم إلى التوبة الصادقة التى يتجلى فيها الندم على ما فات من الذنوب والتقصير والعصيان والاقلاع عن الذنوب مع العزم الأكيد بعدم العودة إليها وإن الفرصة لسانحة لكم يامن قصرتم فى جنب الله وإن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب ورجع إليه وأناب .. قال تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]

عَبْدِي أَطَعْتَنَا فَقَرَّبْنَاكَ .. وَعَصَيْتَنَا فَأَمْهَلْنَاكَ .. وَلَوْ عُدْتَ إِلَيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَقَبِلْنَاكَ

ولقد جاء فى الحديث عن أنس رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «كلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُون»[1] أخرجه الترمذى وابن ماجة وسنده قوى

إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : يَا رَبِّ قَدْ أَذْنَبْتُ .. قَالَ اللَّهُ : يَا عَبْدِي وَأَنَا قَدْ سَتَرْتُ
وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : يَا رَبِّ لَقَدْ تُبْتُ .. قَالَ اللَّهُ : يَا عَبْدِي وَأَنَا قَدْ قَبِلْتُ

(١) بلوغ المرام ، ص ٣٦٨ ، رقم ١٣٧٩ .

فلا تدع الفرصة تفوتك حيث لا يكون بعدها إلا الندم والخسران وتكون يومها - أى يوم القيامة - من الظالمين الذين وصفهم الله فى القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩) ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]

لاَ تَخْضَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ ... فَإِنَّ ذَلِكَ نَقْصٌ مِنْكَ فِي الدِّينِ
لَنْ يَقْدِرَ الْعَبْدُ أَنْ يُعْطِيكَ خَرْدَلَةً ... إِلاَّ بِإِذْنِ الَّذِى سَوَّاكَ مِنْ طِينِ
فَلاَ تُصَاحِبْ قَوِيًّا تَسْتَعِزُّ بِهِ ... وَكُنْ عَفِيفًا وَعَظِّمْ حُرْمَةَ الدِّينِ
واسْتَرْزِقِ اللَّهَ مِمَّا فِى خَزَائِنِهِ ... فَإِنَّ رِزْقَكَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ

ولا تكن من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وقد أخبرنا الله عنهم بقوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥]

فالتوبة التوبة أيها الإخوة المسلمون وقبل أن يهجم عليكم ملك الموت دون إذن ولا تصريح بالدخول ، ولقد كان نبيكم ﷺ والذى غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر الله ويتوب فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «إِنِّى لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(١).

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٣٢١ ، رقم ٣٠٧٦ .

يَانَفْسُ تُوبِي فَإِنَّ المَوْتَ قَدْ حَانَا ... وَاعْصِ الهَوَى فَإِنَّ الهَوَى مَازَالَ فَتَّانَا

واعلموا أن الله ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى أَعْمَالِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ»(١) .

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالعَيْبُ فِينَا ... وَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا

وَلَيْسَ الذِّئْبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذِئْبٍ ... وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عِيَانَا

فالمعيار الحقيقى عند الله هو الأعمال التطبيقية النابعة من القلوب ابتغاء مرضاته وليست للمباهاة والخيلاء ومراءاة الناس فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك ، وكل عمل يُشرك فيه مع الله فهو باطل .. كما فى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]

فاستغفروا الله أيها المسلمون امتثالاً لقوله تعالى :

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⑩ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⑪ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ⑫ مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ⑬ ﴾ [نوح: ١٠ - ١٣]

واسألوه سبحانه دائماً الرحمة والمغفرة والرضوان فهو السميع المجيب وهو القائل فى محكم التنزيل :

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٤٠٠ ، رقم ٣٣٤٢ .

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

فَعَلْنَا خَطَايَانَا وَسَتْرُكَ مُسْبَلٌ ... وَلَيْسَ لِشَيْءٍ أَنْتَ سَاتِرُهُ كَشْفُ

إِذَا نَحْنُ لَمْ نُخْطِئْ وَتَعْفُو تَكَرُّمًا ... فَمَنْ غَيْرُنَا يَهْفُو وَمَنْ غَيْرُكَ يَعْفُو

ومن لم يدع الله يغضب عليه لما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ غَضِبَ عَلَيْهِ»(١).

واسألوا الله دائماً من خيري الدنيا والآخرة .. قال تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)﴾ [البقرة: ٢٠١، ٢٠٢]

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي صَبُوراً .. واجْعَلْنِي شَكُوراً .. واجْعَلْنِي فِي عَيْنِي صَغِيراً .. وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيراً .. آمِينَ.

واعلموا أن لقبول الدعاء شرطين كما في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة، الجزء الثاني، ص ٣٢٤، رقم ٣٠٨٥.

فعودوا إلى الله واستجيبوا له بالعمل والتطبيق فأنتم لا غنى لكم عن الله .. وأين تذهبون ؟! .. قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧)﴾ [فاطر: ١٥ - ١٧]

كما أوصيكم بالمحافظة على قراءة القرآن وحفظه ففى ذلك الأجر والثواب .. فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: « المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ . وَالَّذِى يَقْرَؤُهُ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ ، لَهُ أَجْرَانِ اثْنَانِ »(١) .

كما أوصيكم يا أبنائى بحسن معاشرة أزواجكم وأن تكون المودة والرحمة هى شعاركم ورائدكم كما فى قوله تعالى :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]

وإن رسولنا ﷺ لهو القدوة الحسنة لنا فى هذا الأمر فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِى»(٢)

ويجب على سائر شباب المسلمين أن يمتثلوا لأوامر الناصح الأمين ص إن عزموا على تكملة دينهم بالشروع فى الزواج وذلك باختيار المتعقلة والمتبصرة والمسلمة المؤمنة والواقفة على حدود الله والمؤتمرة بأوامره حتى يسعدوا فى حياتهم ويفوزوا فى

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٣١٤ ، رقم ٣٠٤٦ .
(٢) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٣٣٤ ، رقم ١٦٠٨ .

خـرتهم .. فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ص قـال : « تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ »(١) متفق عليه

ومعناه أن الناس يقـصدون فى العادة من المرأة هذه الخصـال الأربع ، فاحرص أنت على ذات الدين واظفر بهـا واحرص على صحبـتها ، حتـى تعيش سعيـداً وتلقى الله أيها الشاب على خيـر حال بعدما تكون شريكة حـياتك الصالحة قد هيـأت لك كل الأسباب التى تعينك على طاعة الله ومرضاته .

وكـذلك وجب عليـكم يا أوليـاء أمـور البـنـات أن تتـقـوا الله فـيـهـن ولا تعطلوا وتعـقـدوا زواجهن حـيث إن خـيـر مـا تسرُّ به الفـتـاة بعـد تقـوى الله هو نبـأ خطبـتـهـا وزواجها .. فـلا تشدُّدوا على الشباب فى مـتطلبـات الـزواج وساعدوهم ابتـغاء مرضـاة الله فهم سـيستحلون بنـاتكم بأمر الله فى حياة زوجـية دائمة ملؤها السـعادة والهناء وإن هذا الشـاب الصـالـح سيكون إن شـاء الـله لابنتكم زوجـاً وراعيـاً يمتلئ قلبـه لهـا بالمحبـة والمودة والحنان والاحـتـرام.. وإن لاخـتـيـار هذا الـزوج يجب أن نعـمـل بما رسـمـه لنا الرسـول الكريم والنبى العظيـم ﷺ فيمـا روى عن أبى هريرة رضى الـله عنه أنـه قـال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُـوهُ . إِلاَّ تَفْعَلُـوا تَكُـنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ »(٢)

وإن بعض الناس فى زمـاننا هذا ينظرون إلى الناس بمنظار المادة البـحتـة ويتعـاملون بالنفاق ..

(١) رياض الصالحين ، ص ٢١٠ ، رقم ٥ .
(٢) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٣٣٣ ، رقم ١٦٠١ .

كُلُّ حَسَنَةٍ لِلْفَقِيرِ سَيِّئَةٌ .. وكُلُّ سَيِّئَةٍ لِلغَنِي فِي نَظَرِ النَّاسِ حَسَنَةٌ
إذَا كَانَ الفَقِيرُ كَرِيماً .. قَالَ النَّاسُ : إنَّهُ مِتْلافٌ ..
فَإذَا كَانَ الغَنِيُّ بَخِيلاً .. قَالَ النَّاسُ : إنَّهُ عَاقِلٌ ..
وَإذَا كَانَ الفَقِيرُ شُجَاعاً .. قَالَ النَّاسُ : إنَّهُ مُتَهَوِّرٌ ..
فَإذَا كَانَ الغَنِيُّ جَبَاناً .. قَالَ النَّاسُ : إنَّهُ مُتَّزِنٌ ..
وَإذَا كَانَ الفَقِيرُ فَصِيحاً .. قَالَ النَّاسُ : إنَّهُ ثَرْثَارٌ ..
فَإذَا كَانَ الغَنِيُّ أبْكَمَ .. قَالَ النَّاسُ : إنَّهُ بَعِيدُ النَّظَرِ ..
وَإذَا قَالَ الفَقِيرُ : النَّارُ قُرْصُ الحَدِيدِ .. كَذَّبَهُ النَّاسُ ..
فَإذَا قَالَ الغَنِيُّ : النَّارُ قُرْصُ الحَدِيدِ .. صَدَّقَهُ النَّاسُ ..

ولابد أن يكون هذا الشاب متمسكاً بالأخلاق الكريمة والحميدة التى أقر بها الدين ، عاملاً بأوامر رب العالمين وهدى سيد المرسلين عليه الصلاة والتسليم ، وأن يكون جامعا بين الخلق والدين فإن أحدهما لا يكفى ، ومثله سيكون إن شاء الله الزوج الناجح لبناتكم أيها الآباء وأيتها الأمهات فصححوا مساركم فى دنياكم بما شرع الله ورسوله ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور واسمعوا قول ربكم حيث يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان : ٣٣]

عِنْدَمَا يَمُوتُ ابْنُ آدَمَ يُصَابُ بِمُصِيبَتَيْنِ .. الأُولَى : أنَّهُ يَتْرُكُ مَالَهُ كُلَّهُ وَالثَّانِيَةُ : أنَّهُ يُسْأَلُ عَنْ مَالِهِ كُلِّهِ .

فيا زوجتي وأبنائي ومن سيرثني من بعدي هأنذ وقد أصبحت على فراش الموت وبعد لحظات سينقطع عملي اللهم إلا من أمور ثلاث لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ : إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »[1].

فالرجاء الرجاء أن تحرصوا بعد موتي على إيصال ثواب هذه الثلاث إليَّ مع الإخلاص لله فيها حيث إنني سأكون في أمس الحاجة إلى رحمة الله بي ، وهأنذا قد فارقت الحياة بصعود روحي والتي يجب أن تتيقنوا من خروجها ثم تقوموا بتغميض عيني وتغطيتي وتوجيهي إلى القبلة ..

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلْءِ فِيهَا ... حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي
فَلا يَغْرُرْكُمُ مِنِّي ابْتِسَامٌ ... فَقَوْلِي مُضْحِكٌ وَالْفِعْلُ مُبْكِي
هِيَ الدَّارُ مَا الأَنْفَاسُ فِيهَا إِلاَّ نَهَائِبٌ ... لَدَيْهَا وَمَا الأَجْسَامُ إِلاَّ عَقَائِرُ
إِذَا أَحْسَنَتْ يَوْمًا أَسَاءَتْ ضُحَى غَدٍ ... فَإِحْسَانُهَا سَيْفٌ عَلَى النَّاسِ بَاتِرُ
تُرَبِّي الفَتَى حَتَّى إِذَا تَمَّ أَمْرُهُ ... دَهَتْهُ كَمَا رَبَّى البَهِيمَةَ جَازِرُ
كَثِيرَةُ أَلْوَانِ الوِدَادِ مَلِيَّةٌ ... بِأَنْ يَتَوَقَّاهَا القَرِينُ المُعَاشِرُ
فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فَرَّقَتْ بَيْنَنَا ... فَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ سَائِرُ

وإياكم أن تخشوا الفقر بعد موتي فالله هو الرزاق ذو القوة المتين ويرزق حتى عباده الكافرين .. وأنا أخشى عليكم الفقر وإنما أخشى عليكم الدنيا أن تبسط لكم فتفتنكم وتبعدكم عن أمور دينكم وقد تركتكم للحي الذي لا يموت . قال تعالى :

(١) مختصر صحيح مسلم ، ص ٢٦٤ ، رقم ١٠٠١ .

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ [النساء: ٩]

وأحذركم مرة أخرى من النائحة والمستمعين لها ومن لطم الخدود وشق الجيوب ودعوى الجاهلية وأن لا يقول الجميع من حولى إلا خيراً حيث إن الملائكة تؤمن على ما تقولون إن خيراً فخير وإن شراً فشراً ، وأكثروا من ذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، والدعاء لى وأكثروا من الطيب والبخور مع إبعاد نار البخور عنى ، ثم ابدأوا بتغسيلى بمعرفة وحضور من هو ثقة وأمين وصالح من الرجال لينشر ما يراه من الخير ويستر عليٍّ ما قد يراه من الشر ، ثم ليبدأوا بعصر بطنى عصراً رفيقاً ليخرج ما بها ويجب أن يلف على يده خرقة= خوفاً من لمس العورة ، ثم بعد أن أطهر من النجاسة وضئونى وضوء الصلاة ثم غسلونى ثلاثاً بالماء الدافئ والصابون والثالثة بالماء فقط حيث إنه يندب أن تكون مرات الغسل وتراً ، ثم جففوا بدنى بثوب نظيف حتى لا يبتل الكفن ، ثم ضعوا الطِّيب عليٍّ لاستقبال الملائكة بالرائحة الطيبة وحتى لايظهر منى ريح كريهة تؤذى الملائكة والمشيعين ثم كفنونى فى كفن أبيض لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ: « خَيْرُ ثِيَابِكُمْ البَيَاضُ ، فَالْبَسُوهَا ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ»(١).

وأن يكون الكفن من ثلاث لفائف دون مغالاة ، وأن لا يكون من الحرير حيث إنه محرم على الرجال لما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : أخذ رسول الله ﷺحريراً بشماله ، وذهباً بيمينه ، ثم رفع بهما يديه فقال : إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى

(١) مختصر صحيح مسلم ، ص ٢٧٦ ، رقم ٢٨٦٩ .

ذُكُورِ أُمَّتِى ، حِلٌّ لإِنَاثِهِمْ»(١)

ثم طيبوا الكفن بالطيب .. وليعتبر الجميع بما أمامهم وليعلموا أنهم غداً أو بعده سيكونون فى مثل هذا الموضع وقد تركوا وخلَّفوا وراءهم ما كانوا يمتلكون ويتمتعون به من أموال وأزواج وعيال وغير ذلك من متاع الدنيا وقد خرجوا منها فجأة ، ولم يأخذوا من حطامها إلاَّ القطن والكفن الذى سرعان ما يبلى مع الجسد ، ولن يبقى معهم إلا ما قدمت أيديهم من أعمال خيرها وشرها .. قال الله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠]

ولما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاثَةٌ ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ ؛ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»(٢).

وإياكم أيها الأحباب أن تكونوا ممن يحبون المخلوق وينسون الخالق .. ويحبون المال وينسون الحساب .. ويحبون الدنيا وينسون الآخرة .. ويحبون الذنوب وينسون التوبة النصوح إلى الله .

وهكذا إلى ربكم الرجعى والمنتهى والمستقر .. فاعتبروا يا أصحاب العقول والغنى والقصور ، ويا من فُتِنتُم بما أنتم فيه من متاع سرعان ما يزول ويا أصحاب السلوكيات المعوجَّة والفلسفات الزائفة والحجج الباطلة ويا من تعرضون عن النصح

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٢٨٢ ، رقم ٢٨٩٦ .
(٢) مختصر صحيح مسلم ، ص ٥٥٥ ، رقم ٢٠٨٦ .

والإرشاد .. قال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) ﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٧]

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلاَّ لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السِّقَامِ وَذِي الضَّنَى ... كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
وَنَرَاكَ تُصْلِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا أَبَدًا ... وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ
ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَاكَ يُسْمَعُ مَا تَقُولُ وَيُشْتَفَى ... بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وهكذا فقد أصبحت وكما وصف الله تعالى فى قوله :

﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) ﴾ [القيامة: ٢٩، ٣٠]

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُ ... يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ
فَإِذَا حُمِلْتَ إِلَى الْقُبُورِ جَنَازَةً ... فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَهَا مَحْمُولُ

فلتحملونى على الأعناق عملاً بالسنة المطهرة ، وإياكم والذبح تحت النعش كما

يفعل الجهلاء لما روى عن أنس رضى الله عنه أنه قال : قال رسول ﷺ : «لاَ عَقْرَ فِي الإِسْلَامِ » (١)

حيث أنه من البدع المردودة على صاحبها ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه . وفى رواية لمسلم : «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٢) .

ولتنتبهوا إلى شىء هام وخطير ألا وهو سداد دَيْنِى قبل الصلاة علىَّ ودفنى على أن تستسمحوا كل أصحاب العهود والوعود والديون وتردوا لكل ذى حق حقه .. حيث إن روح المؤمن تحبس عن دخول الجنة حتى يؤدى دَيْنَهَا لما سبق ذكره لكم ص ٢٥ ، حتى أن الشهيد لا يسلم من هذا حفاظاً على حقوق العباد .

ادَّخَرْتُ مَالِى لِنَفْسِى عِنْدَ رَبِّى وَادَّخَرْتُ رَبِّى لأَوْلاَدِى

فالحذر الحذر من الإهمال والتفريط والنسيان فى مثل هذا الأمر الخطير الذى يحرمنى من دخول الجنة .. فقد عشت طول حياتى لإسعادكم فلا تحرمونى من سعادة الآخرة .. ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه – ومن أجل الحفاظ على حقوق العباد واحترامها – لا يصلى على جنازة حتى يسأل ويقول : هل على صاحبكم دَيْن ؟ .. فإن كان عليه دَيْن طالب أصحاب الميت بسداده أو أن يسامحه صاحب الدَّيْن ، ثم يصلى عليه ، وإلاَّ فيكلف غيره بالصلاة على الجنازة ، حيث إن صلاته ﷺ على الميت رحمة ومغفرة وشفاعة له ليكون مؤهلاً لدخول الجنة بعد رضا الله سبحانه وتعالى .

(١) سنن أبى داوود ، الجزء الثالث ، ص ٢١٦ ، رقم ٣٢٢٢ .
(٢) رياض الصالحين ، ص ١١٥ ، رقم ١ .

وإياكم ورفع الأصوات فليذكر كل منكم ربه سراً ، ويدعوه سراً ، فالجنازة موضع الخشية والخوف من الله ، وإياكم وحمل مواقد البخور فى أثنائها للنار التى بها والتى تؤذى الروح وتؤذيها وقد روى عن أبى هريرة الله عنه عن النبى ﷺ قال : «لاَ تُتْبَعُ الجَنَازَةُ بِصَوْتٍ وَلاَ نَارٍ»(١) .

وإياكم ومصاحبة النسوة والفتيات مع الجنازة مهما كانت صلة القرابة بى من أم وزوجة وعيال (وألزمكم بهذا الأمر من الآن سواء عند موتى أو عند أى ميت قريب أو غريب) لما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : خرج رسول الله ﷺ فإذا نسوة جلوس قال : «مَايُجْلِسُكُنَّ ؟ » قلن : ننتظر الجنازة . قال : « هَلْ تُغَسِّلْنَ فِيمَنْ يُغَسِّلُ ؟ » قلن : لا . قال : « هَلْ تَحْمِلْنَ فِيمَنْ يَحْمِلُ ؟ » قلن : لا . قال : « هَلْ تُدْلِينَ فِيمَنْ يُدْلِى ؟ » قلن : لا . وفى رواية : « فتحثين فيمن يحثو » ، قلن : لا . قال : «فَارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ (٢) » .

وأرجوا أن تسرعوا بى إلى الخير الذى أعده الله للمتقين .. وأرجوا أن أكون منهم إن شاء الله لما روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : كان النبى ﷺ يقول : « إِذَا وُضِعَتْ الجَنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ : قَدِّمُونِى ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحةٍ قَالَتْ لأَهْلِهَا : يَا وَيْلَهَا أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا ؟يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَىْءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ ، وَلَوْ سَمِعَ الإِنْسَانُ لَصَعِقَ »(٣) رواه البخارى.

---

(١) سنن أبى داوود ، الجزء الثالث ، ص ٢٠٣ ، رقم ٣١٧١ .
(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ص ٢٧٥ .
(٣) رياض الصالحين ، ص ٤٤٤ ، رقم ٢ .

ثم صلوا علىَّ صلاة الجنازة فى أى بيت من بيوت الله فإن لها من الله الأجر العظيم لما روى عن ثوبان رضى الله عنه أنه قال : قال رسول ﷺ : «مَنْ صَلَّى علىً جَنَازةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ . وَمَنْ شَهِدَ دَفْنَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ» قال فسئل النبىﷺ عن القيراط ؟ قال : «مِثْلُ أُحُدٍ»(١) .

وأرجوا أن تكثروا من سواد المصلين وأن لا يقل عددهم عن أربعين رجلاً لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول ﷺ يقول : «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ شَفَّعَهُمْ اللَّهِ فِيهِ»(٢) رواه مسلم

واعلموا أن كل من يفارق هذه الحياة .. إما أن يكون قد استراح من عناء الدنيا وابتلاءاتها ، وإما أن يكون قد استراحت منه البلاد والعباد لفساده وجبروته وظلمه وطغيانه وعناده وها هو الرسول البليغ ﷺ يوضح لنا فى كلامه الموجز فى الحديث الذى روى عن أبى قتادة بن ربعى رضى الله عنه أنه كان يحدث : أن رسول ﷺ مُرَّ عليه بجنازة ، فقال : «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ» قالوا : يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه ؟ فقال : «العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصِيبِ الدُّنْيَا ، والعَبْدُ الفَاجِرُ ، يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ والبِلاَدُ وَالشَّجرُ والدَّوَابُ» (٣) .

وهأنذا بعد لحظات سأُدفن وحيداً وألقى الله وحيداً ولقد صور سبحانه وتعالى للبشرية هذا المشهد الرهيب وخاصة فى حق الكافرين حينما قال فى كتابه العزيز :

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٢٥٧ ، ١٢٥١ .
(٢) رياض الصالحين ، ص ٤٤١ ، رقم ٢ .
(٣) مختصر صحيح مسلم ، ص ١٢٧ ، رقم ٤٦٦ .

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤]

والآن وقد دخلنا على من سبقونا من أصحاب القبور التى ملئت بالعظماء والمُحتَقَرين والصلحاء والفاسدين ، الكل قد تساووا فى التراب وقد حاسبهم الله بمثقال الذرة ، ومنهم من لقى حتفه فى الجحيم ومنهم من ينعم فى جنات النعيم ، فالقبر إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النار .

أَتَيْتُ القُبُورَ فَنَادَيْتُهَا ... فَأَيْنَ المُعَظَّمُ وَالمُحْتَقَرُ
وَأَيْنَ المُدِلُّ بِسُلْطَانِهِ ... وَأَيْنَ المُزَكَّى إِذَا مَا افْتَخَرُ
تَسَاوَوْا جَمِيعاً فَمَا مُخْبِرٌ ... وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الخَبَرُ
تَرُوحُ وَتَغْدُوا بَنَاتُ الثَّرَى ... فَتَمْحُوا مَحَسِنَ تِلْكَ الصُّوَرُ
فَيَا سَائِلُ عَنْ أُنَاسٍ مَضَوْا ... أَمَالَكَ فِيمَا مَضَى مُعْتَبَرُ

وإن القبور وما فيها أيها الأحباب لتذكركم بالدار الآخرة وبالمصير وتزرع فى نفوسكم الخوف من الله الجليل وتحفز فيكم الاستعداد لهذا اللقاء المحتوم الذى قد تغافل الكثير عنه إلا من رحم الله ، والذين قد انشغلوا بجمع الأموال من الحرام والحلال ، واعتنوا بأجسادهم البالية ، وتمتعوا بنسائهم وعيالهم وأموالهم الفانية ، ونسوا وأهملوا أرواحهم الباقية، والتى ما خلقها الله إلا لتزكيتها وتطهيرها وسموها بطاعة ربها واتباع سنة حبيبه ﷺ فى المأمورات والمنهيات والشبهات والمكروهات ، وهى الزاد الحقيقى ليوم المعاد وللنجاة مما فيه من أهوال وكما ذكر القرآن :

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [المزمل: ١٧]

وإنها لتجعل الناس سكارى وما هم بسكارى وغير ذلك من العذاب الشديد كما يحدثنا ربنا سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) ﴾ [الحج: ١، ٢]

فليكن هدف كل عاقل منكم فى دنياه هو مرضاة الله حتى يظله بظل عرشه فى هذا اليوم العصيب وينجو من النار ويدخل الجنان وإن هذا لهو الفوز العظيم كما جاء فى محكم التنزيل:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي ... إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الْفَجْرِ
فَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ
وَكَمْ مِنْ فَتًى أَمْسَى وَأَصْبَحَ ضَاحِكًا ... وَأَكْفَانُهُ فِي الْغَيْبِ تُنْسَجُ وَلَا يَدْرِي
وَمَنْ عَاشَ أَلْفًا وَأَلْفَيْنِ فَإِنَّهُ ... لَابُدَّ مِنْ يَوْمٍ يَسِيرُ إِلَى الْقَبْرِ

فالعجب أن يعرض الناس عن النعيم المقيم ويوقعوا أنفسهم فى الهلاك والجحيم .. وإن بيننا الأمثال والعبر فى دنيانا: فالطالب فى دراسته يستعد بالاجتهاد فى الدراسة من أول يوم فى العام عملاً واستعداداً ليوم الامتحان .. ومن كان له أرضاً يبنيها باشرها

بنفسه كل حين حتى يطمئن على سير العمل وسلامة البنيان .. والزارع يعتنى بأرضه بالسقيا والإشراف حتى يجنى منها أفضل الثمار .. ومن كانت له تجارة يتاجر فيها حرص أن لا يكون فيها خسران .. وإن كل هذه الأمثال من الممكن إدراك فشلها أو الخسران .. أما أمور الآخرة فمن المستحيل تصحيحها أو تعديلها أو الافتداء منها بعد لقاء الله بخروجه من الدنيا .. وبعدها ستكون الويلات والحسرات ممن أعرض عن المبشرات وتجرأ على المنذرات والمنهيات التى جاءته من رب الكائنات وأبلغه بها سيد الأنام عليه الصلاة والسلام .. ولتعلموا جيداً أن الندم سيسود الجميع بما فى ذلك المؤمنين حينما يرون الثواب العظيم من رب العالمين على ما قاموا به من أمور الدين فيتمنى أحدهم أن يعود إلى دنياه للإكثار من الطاعات حتى يحظى بالمزيد من رب العبيد سبحانه وتعالى ، ولكن هيهات للجميع لما قاله لنا ومن الآن رب العالمين :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) ﴾ [المؤمنون : ٩٩، ١٠٠]

وهذا ينكشف جلياً أيها الأهل والأحباب ، ولكن بعد فوات الأوان ، ولقد صور لنا القرآن الكريم هذا المشهد العظيم ليعتبر به أولوا الألباب .. قال تعالى :

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) ﴾ [ق : ١٩ - ٢٢]

فإلى متى الغفلة والعصيان واللهو والنسيان ؟ ! ألم تقرأوا مرات ومرات ما جاء بسورة فى القرآن :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧﴾ [التكاثر: ١ - ٨]

وإن هذه القبور التى أنتم أمامها الآن لهى خير ما يذكركم بالدار الآخرة ولقاء الله .. فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «زُورُوا القُبورَ . فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ»[1] .

إذن ماذا أنتم فاعلون ؟! وهل أنتم بعد هذا وذاك ستستيقظون وتعتبرون وتتوبون؟! وها هو النداء الإلهى الكريم من الرحمن الرحيم يناديكم ويقول :

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨]

يَا صَاحِبَ الهَمِّ إنَّ الهَمَّ مُنفَرِجٌ ... أَبْشِرْ بِخَيْرٍ فَإِنَّ الفَارِجَ اللَّهُ
اليَأْسُ أَحْيَانًا يَقْطَعُ بِصَاحِبِهِ ... لَا تَيْأَسَنَّ فَإِنَّ الكَافِيَ اللَّهُ
اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ العُسْرِ مَيْسَرَةً ... لَا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ المَانِعَ اللَّهُ
إِذَا بُلِيتَ فَثِقْ بِاللَّهِ وَارْضَ بِهِ ... إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ البَلْوَى هُوَ اللَّهُ
وَاللَّهِ مَا لَكَ غَيْرُ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ ... فَحَسْبُكَ اللَّهُ فِي كُلٍّ لَكَ اللَّهُ

واحذروا من أن تمشوا أو تجلسوا على القبور فلقد روى عن أبى هريرة رضى الله

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٢٦٢ ، رقم ١٢٧٥ .

عنه أنه قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ تُحْرِقُهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ»(١).

والآن ضعوا جثتى أمام قبرى استعداداً للرحيل وأوصيكم بأن يكون قبرى لحداً لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «اللَّحْدُ لَنَا؛ وَالشقُّ لِغَيْرِنَا »(٢).

وأن يكون مستوياً على الأرض لما حدثنا به أبو هياج الأسدى رضى الله عنه قال : بعثنى علىٌّ رضى الله عنه وقال لى : أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺأن لا أدع قبراً مشرقاً إلا سَوَّيْتُه ، ولا تمثالاً إلا طَمَسته(٣).

والآن أدلونى فى قبرى وأنتم تقولون بما جاء فى الحديث المروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : كان النبى ﷺإذا أدخل الميت القبر قال : «بِسْمِ اللَّهِ . وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ »(٤).

فإذا دفنتمونى انتظروا عندى قبرى بعض الوقت حتى أستأنس بكم وأجيب رسل ربى الذين سيحضرون إلىَّ للسؤال وسلوا الله لى التثبيت واستغفروا لى وأكثروا من الدعاء عملاً بما جاء فى الحديث الذى روى عن عثمان بن عفاف رضى الله عنه أنه قال : كان النبىﷺإذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثبيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسأَلَ »(٥).

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٢٦١ ، رقم ١٢٧٢ .
(٢) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٢٥٩ ، رقم ١٢٦١ .
(٣) سنن أبى داوود ، الجزء الثالث ، ص ٢١٥ ، رقم ٣٢١٨ .
(٤) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الأول ، ص ٢٥٩ ، رقم ١٢٦٠ .
(٥) سنن أبى داوود ، الجزء الثالث ، ص ٢٣٩ ، رقم ٣٢٢١ .

وهكذا تكون المحبة لى ، والوفاء حيث إن هذه الساعة هى ساعة الوداع والفراق التى لا رجعة بعدها ولا ملتقى إلا فى يوم المعاد وإن لها من الاثر فى النفس المُحِبَّة والمعتبرة الأثر الكبير والبليغ فقد أثر هذا الموقف فى رسولنا ﷺ لما روى عن البراء رضى الله عنه أنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة . فجلس على شفير القبر ، فبكى ، حتى بل الثرى . ثم قال : « يَا إِخْوَانِي ! لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا »(1) .

وهكذا يجب أن تكون القلوب المؤمنة التى ترجوا الله ورحمته وتخشى عقابه، وهى تبكى على أنفسها لتحاسبها على تقصيرها وتفريطها فى جنب الله وعدم تأدية الشكر لله على ما حباها به من نعم كثيرة لا تعد ولا تحصى ، ولا تبك على من قد مات، فمن مات فقد أفضى إلى ربه وقامت قيامه وانتهت أعماله وطويت سجلاته ولم يجز عند الله إلا بما قدمت يداه ، وفى الحال سيرى جزاءه الأوفى فقد ورد عن ابن عمر الله عنهما أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ ، عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالغَدَاةِ، مَعَشِّى. إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلَ النَّارِ. يُقَالُ لَهُ: هَذَا مقعدكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»(2) أخرجه البخارى

وها أنتم الآن ستنصرفون إلى بيوتكم .. بعد أن حاسبنى ربى حساباً عادلاً لأرى مقعدى فى الجنة أم النار .. ولم يتجرأ أعز صديق لى منكم ولا ممن كان يحبنى فى دنياى أن يجلس معى فى قبرى ولو لساعة واحدة .

فانصرفوا فى وداعة الله ورعايته إلى بيوتكم عازمين على العمل بكل ما قد أوصيتكم وأوصيكم به حتى يجمعنا ربنا سبحانه وتعالى عنده فى جنات ونهر كما فى

(1) صحيح سنن ابن ماجة ، الجزء الثانى ، ص ٤٠٨ ، رقم ٣٣٨٣ .
(2) الموطأ ، الجزء الأول ، ص ٢٣٩ ، رقم ٤٧ .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥)﴾

[القمر : ٥٤ ، ٥٥]

كما أوصيكم بتجنب عمل السرادقات وإحضار القراء في هذه الليلة وما بعدها من ليال ؛ فإن العزاء يجب أن يقتصر بتشييع الجنازة وأن يؤدى لمن لم يدركها في بيوتكم بشكل طبيعي دون إحداث أى بدع أو مخالفات ، وكذلك تجنبوا إحياء ليالى الجمع حتى الأربعين من الوفاء أى أيام الخميس التى تحيى بالتجمعات من الرجال والنساء وبتلاوة القرآن ، وكذلك يوم الأربعين ويوم الميعاد من كل عام فكل هذا من البدع والخرافات والتى ليست من دين الله فى شيء ولم يفعلها رسولنا وحبيبنا وقدوتنا ومعلمنا ﷺ والذى أُمرنا باتباعه فى كل ما فعله وأمر به وأقره ، وكذلك لم يفعله صحابته الأجلاء وخلفاؤه الراشدين المهديين من بعده رضى الله عنهم أجمعين .. فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه . وفى رواية لمسلم : «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ »(١).

فمن أين أتت إلينا هذه الأمور التى نسبناها إلى الدين ولن يستفيد الميت منها بالحسنات [illegible] مخالفة لهدى سيد الكائنات ﷺ، وإنما جاءت من جهل المسلمين بكتاب ربهم وبسنة نبيهم ﷺ، حتى ما جاءت به السنة المطهرة وأمر به الرسول الكريم ﷺ فقد خالفوه وعكسوه ، فنجد أن أهل الميت يصنعون الطعام للناس المعزين – وأغلبهم من الشبعى والأغنياء – وليتهم كانوا جياعاً وفقراء ، وانظروا إلى السنة

(١) رياض الصالحين ، ص ١١٥ ، رقم ١ .

لصحيحة في هذا المضمار فعن عبد الله بن جعفر رَي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: « اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرَ طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْ شَغَلَهُمْ »(١).

فمن السنة أن يصنع الجيران لأهل الميت الطعام وليس العكس كما الحال في زماننا هذا .. وهذا ما أوصيكم به أن لا تصنعوا طعاماً لأحد على هيئة وليمة ، ومن أراد أن يتصدق عليَّ وذلك بعد العمل بوصيتي وتسديد ديوني وتوزيع تركتي ، فليتصدق على من ماله الخاص خالصاً لوجه الله للفقراء والمساكين والأرامل واليتامى والمسنين والمحتاجين والمجاهدين في سبيل الله ، ليتقبلها الله ثم ليصل ثوابها إليَّ إن شاء الله وها هي بعض الأمور التي ذكرنا الرسول ﷺ والتي يصل ثوابها إلى الميت فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ ، إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(٢).

لذا أرجوا منكم أن لا تنسوني ، ولا تنسوا من مات منكم ومن أموات المسلمين، وأسأل الله تعالى من خالص قلبي أن نكون ممن يزفهم الله يوم القيامة بالشريات وممن قال في جقهم :

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) ﴾

[الحديد : ١٢]

وها أنا قد أبلغتكم قبل فوات الأوان ، فالفرصة سانحة أمامكم الآن والحمد لله فاغتنموها ولا تهملوها وتضيعوها وذلك بالالتزام بما شرع الله ورسوله من مأمورات وما

(١) سنن أبي داوود ، الجزء الثالث ، ص ١٩٥ ، رقم ٣١٣٢ .

(٢) مختصر صحيح مسلم ، ص ٢٦٤ ، رقم ١٠٠١ .

نهى من منهيات حتى تسعدوا فى دنياكم برضا الله سبحانه وتعالى فتموتوا على خير حال وتسعدوا فى أخراكم بالمغفرة والرحمة والرضوان إن شاء الله .. ولا تشغلنكم الدنيا عن الآخرة فهى حقيرة بزوالها وعدم ثبوتها وبما فيها من فتن وعصيان للواحد الديان .. بل اعملوا فيها الصالحات للتزود ليوم القيامة والحساب وانظروا إلى ما قاله رسول ﷺ عنها . فعن سهل بن معاذ الساعدى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ » رواه الترمذى وقال حديث صحيح .

ولقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز عن الدنيا بسورة الكهف (الآية ٢٨) (بالزينة) وأى زينة سرعان ما تنفض .. وأيضاً عبر عنها بسورة طه (الآية ١٣١) (بالزهرة) والزهور والورود تتفتح وتتألق بعبيرها وسرعان ما تذبل وتسقط وتموت .. وأيضاً عبر عنها بسورة الأنعام (الآية ٣٢) (باللعب واللهو) وهذا البيان غنى عن التعبير .. وأيضاً عبر بسورة آل عمران (الآية ١٨٥) (بأنها متاع الغرور) أى أنها متاع كأى متاع سرعان ما يزول .. ومع هذا فهى تغر ضعاف النفوس ببريقها حيث إنهم قد جهلوا نعيم ربهم الذى أعده الله للمتقين فى جنات النعيم .

والآن وقد أُسدل الستار على مسرحية الحياة التى عشتها طول حياتى من يوم أن جئت إليها طفلاً عرياناً – يوم ولادتى – إلى أن خرجت منها كذلك عرياناً – يوم وفاتى – ثم إلى المستقر والمنتهى وهذا يكون لكم درساً وعبرة وحتى تلقوا الله سالمين غانمين وتكونوا من أصحاب النعيم المتقين .. قال تعالى :

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) ﴾

[الصافات : ٦٠ ، ٦١]

---

(١) رياض الصالحين ، ص ٢٦٤ ، رقم ٢١ .

فاعـملوا يا ورثتى من بعدى ويا أيها المسلمـون حتى تفوزوا من الله بالنعـيم المقيم، وهذه هى قطرة من بحار النعيم التى سينعم بها المتقون .. قال تعالى :

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) ﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٦]

وستكون عواقبهم عند الله بالثناء والتسبيح والتحميد لله رب العالمين على ما هداهم الله بإيمانهم إلى جنات النعيم .. قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠) ﴾ [يونس: ٩، ١٠]

دَعِ الأُمُورَ تَجْرِى فِى أَعِنَّتِهَا ... وَلاَ تَبِيتَنَّ إِلاَّ خَالِى البَالِ
مَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا ... يُغَيِّرُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ
لا تَعْجَلَنَّ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالعَجَلِ ... الرِّزْقُ فِى اللَّوْحِ مَكْتُوبٌ مَعَ الأَجَلِ
فَلَوْ صَبَرْنَا لَكَانَ الرِّزْقُ يَطْلُبُنَا ... لَكِنَّهُ خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ
عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ إِنْ كُنْتَ غَافِلاً ... يَأْتِيكَ بِالأَرْزَاقِ مِنْ حَيْثُ لا تَدْرِى
كَيْفَ تَخَافُ الفَقْرَ وَاللَّهُ رَازِق ... فَقَدْ رَزَقَ الطَّيْرَ وَالحُوتَ فِى البَحْرِ
وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ يَأْتِى بِقُوَّةٍ ... مَا أَكَلَ العُصْفُورُ شَيْئًا مَعَ النَّسْرِ
إِذَا كُنْتَ فِى نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ... فَإِنَّ المَعَاصِى تُزِيلُ النِّعَمِ
وَدَاوِمْ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الإِلَهِ ... فَإِنَّ الإِلَهَ سَرِيعُ النِّقَمِ

مَن اعتَمَدَ مَاله قَلّ .. وَمَنْ اعتَمَدَ عَلَى سُلْطَانِه ذَلّ .. وَمَنْ اعتَمَدَ عَلَى عقله اختَلّ .. وَمَنْ اعتَمَدَ عَلَى علمِه ضَلّ .. وَمَنْ اعتَمَدَ عَلَى النَّاس مَلّ وَمَنْ اعتَمَدَ عَلَى اللَّه .. فَلاَ قَلّ وَلا ذَلّ وَلاَ اختَلّ وَلاَ ضَلّ وَلاَ مَلّ ..

الخاتمة

﴿ للَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾

[البقرة: ٢٨٤ – ٢٨٦]

بيان بكل ما (عليّ) من ديون للآخرين

والتى أرجو سدادها قبل دفنى إن شاء الله

التاريخ	صاحب الدين	المبلغ	نوعه	تاريخ السداد	الملاحظات والتوقيع

التاريخ	صاحب الدين	المبلغ	نوعه	تاريخ السداد	الملاحظات والتوقيع

التاريخ	صاحب الدين	المبلغ	نوعه	تاريخ السداد	الملاحظات والتوقيع

بيان بكل ما (لى) من حقوق عند الآخرين

التاريخ	المقترض	المبلغ	نوعه	تاريخ السداد	الملاحظات والتوقيع

التاريخ	المقترض	المبلغ	نوعه	تاريخ السداد	الملاحظات والتوقيع

التاريخ	المقترض	المبلغ	نوعه	تاريخ السداد	الملاحظات والتوقيع

بيان بكل ما تم من عهود ووعود مع الآخرين

الاسم	الوعود أو العهود التى تم الاتفاق عليها	الملاحظات والتوقيع

الاسـم	الوعود أو العهود التى تم الاتفاق عليها	الملاحظات والتوقيع

المراجع

١ – القرآن الكريم .

٢ – مختصر صحيح مسلم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى .

٣ – الموطأ لإمام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس رضى الله عنه .

٤ – مسند الإمام أحمد بن حنبل .

٥ – صحيح سنن ابن ماجة (باختصار السند) لمحمد ناصر الدين الألبانى .

٦ – سنن أبى داوود للإمام أبى داوود سليمان بن الأشعس السجستانى الأزدى.

٧ – الجامع الصحيح (وهو سنن الترمذى) لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة.

٨ – سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألبانى .

٩ – رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ، تأليف شيخ الإسلام محيى الدين أبى يحيى بن شرف النووى ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م ، نشره وصححه وأشرف على طبعه عبد الشكور عبد الفتاح فدا ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة .

١٠ – بلوغ المرام من أدلة الأحكام للإمام ابن حجر العسقلانى .

١١ – جواهر الأدب وشرح القسطلانى ، تأليف مصطفى محمد عمارة .

يسر

دار الولاء الإسلامى للنشر و التوزيع

ان تقدم

لقرائها قريبا سلسلة رسائل

* محاضرات الدكتور / **جمال عبد الهادى محمد مسعود**

* محاضرات الشيخ /**عبد الرحيم الطحان** اثناء اقامته بالسعودية

و تحت الطبع

من مؤلفات الأخ / **خالد بن رمضان السويفى**

* إتحاف الأنام بفضل الصلاة والصيام

*إتحاف البررة بفضل الحج والعمرة

مع تحيات أسرة دار الولاء الإسلامى

رقم الإيداع ١٠٥٩٠ /٩٦